الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique Et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère De L'enseignement Supérieur Et De La Recherche Scientifique

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كليـــــة الآداب واللغـــات
قسم اللغـــة والأدب العربي
الرقم: .....

Université 8 Mai 1945 Guelma
Faculté : des lettres et des langues
Département Lettre et langue Arabe
N° .....

ظاهرة الرّكام اللّغوي في الفصحى وتجلياتها في اللّهجات الجزائريّة

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر

(تخصص: لسانيات تطبيقية)

إعداد الطالبة:
عبير البلدي

إشراف الدكتورة:
نبيلة قريني

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
1	الطاهر نعيجة	أستاذ محاضر – أ	رئيسًا
2	نبيلة قريني	أستاذ محاضر – أ	مشرفًا ومقررًا
3	ريمة لعبادلية	أستاذ مساعد	ممتحنًا

السنة الجامعية: 2024/2023

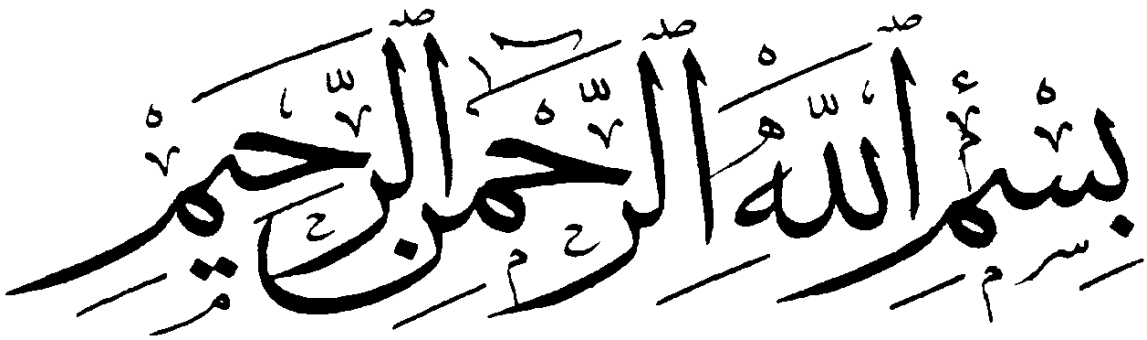
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـر وتقـديـر

ما سلكتُ البدايات إلّا بتيسيره، وما بلغتُ النّهايات إلّا بتوفيقه، وما حققتُ الغايات إلّا بفضله، فالحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسيّة.

أحمدُ الله وأشكره شكرًا يليق بجلال قدره وعظيم سلطانه، أن بسط لي كل شيء ووفقني وأعانني ووهبني الصّبر والمطاولة والتّحدي والقدرة على إتمام هذا العمل.

فالله الحمدُ على البدءِ والختامِ.

اعترافًا بالجميل، وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ**﴾ [الشعراء/183].

ومصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ لَا يَشكُر النَّاسَ لَا يَشكُر اللهَ**».

كان لزامًا أن أنسب الفضل لذويه والمعروف لأهله،

فإنّي أبتهل إلى الله تبارك وتعالى في دعاءٍ خالص لوالديَّ الكريمين اللذين آزراني بدعائهما وصبرهما وتشجيعها لِي، فجزاهما الله عني خير ما يُجازى به والدين عن ولدهما.

كما أتقدم بجزيل الشُّكر وخالص الامتنان والتّقدير لصاحبة الخلق والعمل أستاذتي الفاضلة الدكتورة "نبيلة قريني" التي أشرفت على هذه المذكرة حتى خرجت بثوبها الحالي، أشكرها على كل ما قدمته لي من توجيهات صائبة، ومعلومات قيمة أسهمت في إثراء هذا العمل.

كما أتقدم بالشُّكر والامتنان إلى أساتذتي الأفاضل المناقشين الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الدراسة وبذل الجهد والوقت في التّدقيق وإثراء البحث شكلًا ومضمونًا.

وفي الأخير إن أصبت الغاية التي أردتها فذلك توفيق من الله، وإن أخطأت أو هفوت، فمن نفسي.

﴿**وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ [الحديد/29].

إهـــــــداء

سنين الجهد وإن طالت ستطوى لها أمد وللأمد انقضاء.

الحمد لله على البلاغ ثم الحمد لله على التّمام ما كنت لأفعل لولا أنّ الله مكنني.

أهدي نجاحي:

إلى الذي بذل عمره وجهده وماله في سبيل تعليمي وتربيتي، إلى الذي أعطاني من حبه وشفقته الكثير حتى وصلت إلى ما وصلت إليه "**الغالي أبي**".

إلى عيون لا تمّل من السهر ولا تمّل من الدعاء إلى نبع الحنان عرفانًا لها بالفضل الجميل "**أمي الحنون**".

إلى أحب نعم الله على قلبي "**إخوتي**" السند والعضد والساعد، أسأل الله لكم دوام التّوفيق.

إلى أهل الفضل عليّ الذين غمروني بالحب والتّقدير والنّصح والتّوجيه "**أساتذتي الأفاضل**".

أزف لكم جميعًا الإهداء حبًا ورفعةً وكرامةً.

عبير

الرّموز المستعملة في البحث:

الرّمز	دلالته
ص	الصفحة
ص. ن	الصفحة نفسها
مر.ن	المرجع نفسه
تح	تحقيق
د. تح	دون تحقيق
ط	طبعة
د. ط	دون طبعة
د. س	دون سنة
تر	ترجمة
مر	مراجعة
تق	تقديم
د. د. ن	دون دار نشر
تع	تعليق
م	المجلد
ع	العدد
ج	الجزء

مقـدّمـة

الحمد لله الذي أنشأ وبرى، وخلق الماء والثرى، وأبدع كل شيء وذرى، والصّلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث في أم القرى. أمّا بعد:

يتّفق اللغويون المحدثون على أنّ اللغة أشبه بالكائن الحيّ؛ لأنّها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطوّر وتتغير بفعل الزمن؛ إذ هي عبارة عن سلسلة متلاحقة الحلقات يسلم بعضها إلى بعض، وكل حلقة منها تتكون من مجموعة من الظواهر المطّردة القواعد؛ لأنّ كل لغة لابد لها من منطق معيّن حتى تصلح لكي يتفاهم بها أهلها، وهذا المنطق هو ما يُطلَق عليه اسم "القواعد المطّردة".

وفي مقابل هذا –الظواهر المطّردة– يسجّل اللغويون ظواهر لغوية أقلّ اطّرادًا، تنوعت اصطلاحاتهم في التعبير عنها بين الطبقية، والرواسب اللغوية، والبقايا اللغوية، والركام اللغوي.

واللغة العربية لم تشذّ عن هذا الإطار العام؛ إذ تسري على ألسنة أهلها وفق ظواهر مطّردة في أصواتها وتراكيبها، عُدّت الأساس الذي اعتمده القدامى في سنّ قوانينها واستقراء قواعدها، وفي مقابل هذا الاطّراد، سجّل اللغويون العرب ظواهر لغوية أقلّ اطرادًا، وَسَمُوها بـ "الشاذ" وكان اتفاقهم أنّ "الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه".

وعلى الرغم من توالي جهود اللغويين القدامى في رصد ظاهرة الشاذ، وتتبع مراتبه، وبيان حكمه، وإيراد أمثلته وشواهده إلّا أنّهم لم يخوضوا في تفسيره وتتبّع أسبابه، وذاك ما اجتهد فيه اللغويون العرب المحدثون متأثرين بما أفضت إليه الدراسات اللغوية الغربية من نتائج. فالشاذ في العربية على تقديرهم يمثل في كثير من مظاهره بقايا لمرحلة لغوية سابقة مرّت بها العربية في تطوّرها، واحتفظت بأمثلة من تلك الظواهر المندثرة، عُدّت شاذًا باصطلاح القدامى و"ركامًا لغويًّا" باصطلاح رمضان عبد التواب.

ولكن ما يلفت الانتباه ويثير التساؤل أنّ كثيرًا من هاته البقايا اللغوية أخذت طريقها إلى الاطّراد من جديد، لاسيما في اللهجات العربية الحديثة، ومنها اللهجات الجزائرية؛ إذ يشيع فيها ظواهر صوتية وصرفية وتركيبية تعدّ في الفصحى من قبيل "الشاذ"، أو "الركام اللغوي".

ومن هاته المعطيات جاء بحثنا موسومًا بـ" ظاهرة الركام اللغوي في الفصحى، وتجلياتها في اللهجات الجزائرية".

وانطلق البحث من تساؤل رئيس مفاده: «ما مظاهر الركام اللغوي في الفصحى؟ وما تجلياته في اللهجات الجزائرية؟».

تفرعت عنه تساؤلات فرعية منها:

- ماذا يعني مصطلح "الركام اللغوي" في الدراسات اللغوية الحديثة؟
- ما هو الشاذ؟
- ما أسباب "الركام اللغوي"؟
- ما مظاهر "الركام اللغوي" في المستويات اللغوية الثلاثة؟

وقع اختياري على هذا الموضوع نتيجة أسباب عديدة، أذكر منها:

- جدّة الموضوع من حيث الطرح، والجمع بين الظواهر اللهجية الحديثة في ضوء الركام اللغوي.
- رغبتي الجامحة في دراسة تاريخ العربية وصلتها بأخواتها الساميّات من جهة، ومعرفة صلة ذلك بلهجات العربية القديمة والحديثة.

وانطلاقًا من التساؤلات المطروحة سطرت للبحث أهدافًا، أذكر منها:

- تقصي ظاهره الركام اللغوي في العربية.
- الوقوف على أثر التطور اللغوي على مستويات اللغة.
- بيان مظاهر وشواهد ظاهرة الركام في العربية.
- تتبع تاريخ الظواهر اللغوية بمرور الزمن.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع إتباع المنهج الوصفي، مع الاستعانة بآليات المقارنة والتحليل والتعليل.

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة، والسعي إلى تحقيق أهداف البحث، جاء العمل وفق الهيكل التنظيمي الآتي: فصلان تسبقهما مقدّمة، ومذيلين بخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع وفهارس عامة.

فأمّا المقدمة ففيها طرح إشكالية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، والمنهج الذي سلكناه في الدراسة، بالإضافة إلى إيراد بعض المصادر والمراجع المعتمدة.

وأمّا الفصل الأول، فمعنون بـ "ظاهرة الركام اللغوي في الفصحى بين مرتبتي الاطّراد والشذوذ"، ومباحثه ثلاثة، جاءت مبسوطة على النحو الآتي: اصطلاحات ومفاهيم، ثمّ: الركام اللغوي تفسيرًا "للشاذ"، وآخره: مظاهر الركام اللغوي في العربية الفصحى.

وأمّا الفصل الثاني، وسمته بـ "تجليات الركام اللغوي في اللهجات الجزائرية"، جاء فيه: تمهيد، وثلاثة مباحث: خُصّ الأول بالحديث عن تاريخ العربية في الجزائر، بعده: مظاهر الركام اللغوي في المستوى الصوتي للهجات الجزائرية، وأمّا المبحث الأخير فجعلته لمظاهر الركام اللغوي في المستويين الصرفي والتركيبي للهجات الجزائرية.

ثمّ ينتهي البحث بخاتمة، ضمنتها أهم النتائج المتوصل إليها في الفصلين، وأعقبت ذلك بقائمة للمصادر والمراجع التي أفدت منها في بحثي، وأخيرًا ذُيّل البحث بفهارس عامة شملت الآيات، والأبيات الشعرية، والمحتويات.

ومن أجل إنجاز هذا البحث والإجابة عن الإشكالية بطريقة منهجية، اعتمدت على جملة من الكتب التراثية والحديثة، التي يسرت لي كثيرًا من المشكلات، وذللت لي كثيرًا من الصعاب، أهمها: الكتاب لسيبويه، وكتاب الخصائص لابن جني، وكتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي، وكتاب

بحوث ومقالات في اللغة لرمضان عبد التواب، وكتاب اللغة والنحو لحسن عون، وكتاب التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية لآمنة صالح الزعبي، وكتاب الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل) للأستاذ بلقاسم بلعرج، وكتاب أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية لفوزي الشايب.

من الصعوبات التي واجهتني، وتجاوزتها بفضل الله، أذكر منها:

قصر فترة البحث، مع تشعب جوانب الموضوع، وقلّة الدراسات اللغوية الحديثة التي فصلت في موضوع "البقايا اللغوية" مع ربطه باللهجات الحديثة.

بفضل الله ثمّ بتوجيهات الأستاذة المشرفة تغلبت على هذه الصعوبات، فالشكر لله عز وجل أولًا، وخالص الشكر والتّقدير لأستاذتي الفاضلة "نبيلة قريني" التي لم تبخل عليّ لا بالجهد ولا بالوقت ولا بالنصائح الثمينة.

الفصل الأول:

ظاهرة الرّكام اللّغوي في الفصحى

بين مرتبتي الاطّراد والشّذوذ

أولًا: اصطلاحات ومفاهيم.

ترتكز دراستنا على عدد من الاصطلاحات اللغويّة التراثيّة والحديثة، وتقتضي المنهجيّة العامة الوقوف على دلالاتها اللغويّة والاصطلاحيّة لتكون مفاتيح الغوص في أغوار البحث، إضافة إلى إيراد بعض العناصر المتّصلة ببعض الاصطلاحات، وهذا بيانها:

1. مفهوم الرّكام اللغوي:

1.1. لغـــــة:

"الركام اللغوي" مصطلح مركب تركيبًا وصفيًّا من لفظتي "الركام" و"اللغوي".

فأمّا الركام لغةً: فهو مصدر مشتق من "رَكَمَ". جاء في "لسان العرب": «رَكَمَهُ، يَرْكُمُهُ، وارْتَكَمَ، والرِّكْمَة، والرُّكَامُ... والرَّكْمُ: جَمْعُكَ شَيْئًا فَوْقَ شَيْءٍ حَتَى تَجْعَلَهُ رُكَامًا مَرْكُومًا، كَرُكَامِ الرَّمْلِ وَالسَّحَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَرَكَمَ الشَّيْءَ يَرْكُمُهُ: إِذَا جَمَعَهُ وَأَلْقَى بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ. وَشَيْءٌ رُكَامٌ: بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ».[1]

وورد في معجم "اللّغة العربيّة المعاصرة": «رَكَمَ الشَّيْء: كَوَّمَهُ، جَمَعُهُ وَأَلْقَى بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ. وَالرُّكَامُ: مَا اجْتَمَعَ مِنَ الأَشْيَاءِ وَتَكَوَّمَ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ، كَالرُّكَامِ مِنَ الرَّمْلِ وَالحِجَارَةِ».[2] وفي التّنزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا**﴾ [النور/43] أي: كَثِيفًا مُتَرَاكِمًا بَعضُهُ فَوقَ بَعضٍ.[3]

ممّا تقدم يتضح أنّ المعنى اللّغوي للركام في معاجم اللغة قديمها وحديثها لا يخرج عن معنى: "الجمع والتكويم".

---

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، (د. تح)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990، 251/12، مادة (ر ك م).

[2] ينظر: أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008، 938/2، مادة (ر ك م).

[3] ينظر: مر. ن، ص. ن، مادة (ر ك م).

وأمّا اللفظ الثاني "اللغويّ" فهو وصف للركام بتخصيصه باللغة، بإضافة ياء النسبة المشدّدة إليه، والربط بينه –الركام– وبين اللغة إنّما جاء من باب الاستعارة؛ ذلك أنّ لا علاقة طبيعية تجمع بين اللفظين؛ فالركام مصطلح يكثر تداوله في علوم الأرض، ولعل التعريف الاصطلاحي يستجلي لنا العلاقة بين اللفظين.

2.1. اصطلاحا:

"الركام اللغوي" مصطلح مستحدث في الدراسات اللغوية العربية، يعود في أصل ظهوره إلى الأستاذ "رمضان عبد التواب"؛ إذ نص على ذلك صراحةً في أحد مؤلفاته قائلًا: «الركام اللغوي اصطلاح صنعناه نحن، قياسًا على: الركام الحجري؛ ذلك الاصطلاح الجغرافي الذي يعنون به تلك الأحجار التي تجرفها السيول والانهيارات الثلجية، من مكان إلى مكان».[1] وقد عرّفه بقوله: «ونعني بمصطلحنا "الركام اللغوي" بقايا الظواهر اللغويّة المندثرة؛ لأنّنا نعتقد أنّ الظاهرة اللغوية الجديدة، لا تمحو الظاهرة القديمة بين يوم وليلة، بل تسير معها جنبًا إلى جنبٍ مدّة من الزّمن، قد تطول وقد تقصر، وهي حين تتغلب عليها، لا تقضي على أفرادها قضاء مبرمًا، بل يتبقى منها بعض الأمثلة التي تصارع الدّهر وتبقى على مرّ الزّمن».[2]

تظهر في هذا التعريف ماهية الركام اللغوي؛ إذ هو بقايا لظواهر لغوية (صوتية، أو صرفية، أو تركيبية..) اندثرت بمرور الزمن، وتبقّت منها بعض الظواهر القليلة التي تدلّ على أنّها كانت موجودة. ومن هنا فالركام اللغوي مصطلح يتصل اتصالًا وثيقًا بظاهرة التطوّر اللغوي، فمستعمل اللغة نظرًا للتغير الحاصل في الحياة عامة، وفي المجتمع بوجه خاص يلجأ إلى توظيف ظاهرة لغوية جديدة تواكب التطوّر، فيستعملها بدل القديمة الآيلة إلى الزّوال، تاركة بعض الأمثلة التي تتصارع والظاهرةَ الجديدة، وقد يُكتب لبعض أمثلتها البقاء على مدى الزّمن، مشكلةً بذلك "ركامًا لغويًّا".

[1] رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1982، ص: 59.

[2] مر. ن، ص. ن.

ويعدّ "الركام اللغوي" –على مذهب صاحبه– تفسيرًا لوجه من وجوه "الشاذ" في العربية، وتحديدًا لما عدّه "بقايا لغوية" متخلفة عن مراحل تطورية سابقة في عمر اللغة العربية؛ ذلك أنّ اللغة كائن حيّ؛ لأنّها تحيا على ألسنة المتكلمين بها وهم أحياء، وأنّها تتطور وتتغير بفعل الزّمن، فهي مجموعة سلاسل متلاحقة الحلقات، يسلم بعضها إلى بعض، في كل حلقة مجموعة ظواهر لغوية مطّردة، مُرفَقَة ببعض الظواهر الشاذّة عن تلك المطّردة.

3.1. المقابلات الأجنبية والعربية لمصطلح الركام اللغوي:

لم يكن "رمضان عبد التواب" أوّل من تنبه على ظاهرة "البقايا اللغوية"، وإن كان أول من اصطنع مصطلح "الركام اللغوي"؛ إذ سبقه للحديث عنها غربيون، وأعقبه عرب، وكان لكل منهم مصطلحه الخاص. ومن المصطلحات المقابلة لمصطلح "الركام اللغوي" عند الغربيين والعرب نورد:

1.3.1. عند الغربيين:

أ. **النظرية الطبقية: (Substratum Theory)**: مصطلح "Substratum" مصطلح أجنبي يعني "الطبقية"، وهو مقتبس من علم الجيولوجيا، يعني في لغة التخصص: الصخور المطبقة التي ترسبت بشكل طبقات تعلو الواحدة فيها الأخرى.[1]

وأول من استعاره في علم اللغة هو "فارت بورج wartburg"؛[2] إذ شبه بعض المحدثين من اللغويين حال اللغة كما تبدو لنا الآن بتلك الطبقة العليا من القشرة الأرضية، تحتها طبقات تمثل كل منها عصرًا من عصور التاريخ، أُسّس بعضها على بعض. وكذلك حال اللغة في عصور تطوّرها تتكون

[1] ينظر: فاروق صنع الله العمري: مبادئ علم الطبقات، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2001، ص: 7.

[2] ينظر: منصور عبد الكريم الكفاوين: ظاهرة الركام اللغوي بين القدماء والمحدثين، (رسالة دكتوراه)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 2007، ص: 39.

في هيئة طبقات بعضها فوق بعض، ومؤسّس بعضها على بعض، فاللغة حين تحلّ في بيئة من البيئات وتستقر فيها تأخذ شكلًا جديدًا يستمد جذوره ممّا سبقها من لغات في البيئة نفسها.[1]

وهذا هو منطلق أصحاب النظرية الطبقيّة في تفسير تأثر لغة جديدة بأخرى قديمة، فاللغة الحاليّة في بيئة ما تتأسس –حسبهم– على بقايا لغات قديمة عرفتها البيئة عبر عصور تاريخية. ولعل من أشهر المؤيدين لهذه النظرية والدّاعيين إليها "بلومفيلد bloomfield "، الذي ضرب عديد الأمثلة لتأييد مذهبه والبرهنة عليه.[2]

إذن من خلال ما سبق نجد أنّ "النظرية الطبقيّة" تختص بدراسة بقايا لغة في لغة أخرى؛ أي إنّ التأثر يكون بين لغتين مختلفتين. في حين أنّ موضوعنا "الركام اللغوي" يخص لغة واحدة، فهو بقايا لغوية لمراحل قديمة في اللغة نفسها.

2.3.1. عند العرب المحدثين:

تطرق غير واحدٍ من اللغويين العرب المحدثين لظاهرة البقايا اللغوية بالبحث والدراسة، ولكن بمصطلحات مختلفة، لا تخرج عن كونها مرادفةً لما سميناه "الركام اللغوي"، نذكر بعض ما وقفنا عليه في الآتي:

أ. **البقايا اللغوية:** اصطلاح استعمله غير باحث من المحدثين، من بينهم: "حسن عون"، و"إبراهيم السامرائي"،[3] و"محمد المبارك"،[4] و"عبد اللطيف حماسة"[5]...وغيرهم.

---

[1] ينظر: إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1966، ص: 94.

[2] ينظر: مر. ن، ص: 96.

[3] ينظر: إبراهيم السامرائي: مقدمة في تاريخ العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، (د. ط)، 1979، ص: 19.

[4] ينظر: محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية "دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجريد والتوليد"، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د. ط)، (د. س)، ص: 285.

[5] ينظر: محمد عبد اللطيف حماسة: ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية بين القدماء والمحدثين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ج46، ع48، 1981، ص: 168.

يقول "حسن عون" مفسّرًا الشواهد النّحوية والأدبية التي أكثر النّحاة تخريجها: «ويغلب على الظن أنّ ما نجده الآن في بطون الكتب القديمة، وفي ثنايا النصوص من أمثلة نحويّة وشواهد أدبيّة خارجة عن تلك القواعد التي وضعها النحاة، ثم التمسوا لها تخريجا من تخريجاتهم حتى يتخلصوا منها وتنسجم مع قواعدهم، فعللوها طورًا بالسماع، وطورًا آخر بالشذوذ. نقول يغلب الظن أنّ ما نجده من هذا القبيل إن هو إلّا بقايا من اللّغة العربية في مراحلها الأولى يوم كانت لا تلتزم هذه الطرق المعروفة في الأداء».[1]

وفي مسألة ردِّ الهمزة في "رأى" يقول "حماسة عبد اللطيف": «.. شواهد هذا النوع محدودة لأنّها –في نظري– تمثل بقايا لأصول تاريخية تطورت، ومن ذلك الفعل (رأى) وذلك أنّ المستقبل من (رأى) جرى على ألسنتهم غير مهموز تخفيفًا فيقولون: هو يرى، فإذا احتاج الشاعر أجراه على أصله في الهمزة».[2]

ب. الرواسب اللغوية: وهو من المصطلحات الشائعة بين اللغويين المحدثين، والتي وُظِّفت للتعبير عن بقايا المراحل السابقة ضمن اللّغة نفسها؛ إذ «يحدث في تاريخ لغة من اللغات أنّ ظاهرة من الظواهر تختفي؛ بمعنى أنّها تسقط من الاستعمال، فلا يعود الناطقون باللغة يستعملونها. ويحدث في الوقت نفسه أنّ أفرادًا قليلين يحافظون على الظاهرة، وقد سميت الظواهر المتبقية من اللهجات البائدة: "الرواسب اللغوية"».[3] وهذه الرواسب تقع في اللغة في أصواتها، وكلماتها، وحتى في التركيب، والدلالة.[4]

[1] اللغة والنحو "دراسات تاريخية وتحليلية مقارنة"، (د. د. ن)، الإسكندرية، مصر، ط1، 1952، ص: 57.58.

[2] من وجوه استعمال الهمزة في الشعر وموقف النحويين منه، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ج69، 1991، ص: 76.

[3] سمير شريف إستيتة: اللسانيات "المجال والوظيفة والمنهج"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2008، ص: 605.

[4] ينظر: مر. ن ص. ن.

ومن الذين استعملوا مصطلح "الرواسب" نجد "حسن عون" في قوله: «ولو أنّهم افترضوا مراحل اللغة الأولى، ثم وجود رواسب من هذه المراحل فيما يروى عن العرب في عصر الجاهلية أو صدر الإسلام لأراحوا أنفسهم، وأراحوا النحو نفسه، وأراحونا من كل هذا العناء، من تلك الخلافات».[1]

ج. **المخلفات اللغوية:** إلى جانب ما ذُكر نجد مصطلح "المخلفات" هو الآخر يعبر عن الدّلالة ذاتها التي يحملها الركام اللغوي، وقد وظفه "السامرائي" في تفسير نيابة أدوات الجر بعضها عن بعض على أنّها من المخلفات اللغوية لمرحلة تاريخية أوشكت أن تزول.[2]

د. **الآثار اللغوية:** هو الآخر من المصطلحات التي استعملت للدلالة على ما تخلف من ظواهر لغوية في اللغة العربية بمرور الزمن يوم كانت العربية تعاني عدم الاستقرار، استخدم هذا المصطلح كل من إسماعيل عمايرة،[3] و"إبراهيم السامرائي" في قوله: «وما استطاعت لغة القرآن والحديث أن تأتي على الدّارج من اللغات الخاصة، تلك اللغات التي أبقت في العربية الفصيحة العامة آثارها ... ومن تلك الآثار شيء يتصل بأصوات العربية وطريقة أدائها».[4]

هـ. **المتحجرات اللغوية:** ورد في حديث "يحيى عبابنة" عن نطق صوت الجيم؛ إذ يقول: «وأمّا الدليل الذي نستند إليه في عدِّ النطق الإفرادي الخالي من التعطيش أصلًا، فهو وجود هذا النطق في بعض المتحجرات اللغوية؛ ونعني بالمتحجرات اللغوية هنا، أنّ الظاهرة اللغوية عندما يصيبها التطوّر أو تموت أو تتغير لأي سبب من الأسباب، فإنّ هذا التطور أو الموت لا يكون نهائيًا في جميع جزئيات الظاهرة اللغوية؛ بل لابد من أن يبقى ما يدل على أنّ الظاهرة كانت موجودة ومستعملة في يوم من الأيام. وهو بعض الأوجه الاستعمالية التي تسربت إلى المستوى الجديد واستطاعت أن

---

[1] اللغة والنحو، ص: 122.

[2] ينظر: إبراهيم السامرائي: مقدمة في تاريخ العربية، ص: 22.

[3] ينظر: إسماعيل عمايرة: ظاهرة التأنيث بين العربية واللغات السامية "دراسة لغوية تأصيلية"، دار الحنين، عمّان، الأردن، ط2، 1993، ص: 27.28.

[4] ينظر: مقدمة في تاريخ العربية، ص: 23.

تفلت من فعل قوانين التطوّر اللغوي التي فعلت فعلتها في اللغة».[1] وأمّا عن الفائدة الكبرى من وجود ما سماه بالمتحجرات اللغوية، يذكر "عبابنة" أنّها تساعد في عملية التأريخ للغة بمختلف ظواهرها.[2]

من خلال ما سبق نستنتج أنّ ظاهرة الركام في اللغة استحوذت على اهتمام علماء العربية؛ فقد تحدث عنها باحثون عرب كُثر لكن بمصطلحات مختلفة، منها: "الرواسب اللغوية"، و"البقايا اللغوية"، و"الآثار اللغوية"، و"المتحجرات اللغوية"...وجميع هذه الاصطلاحات تحمل المدلول نفسه –بقايا المراحل التاريخية في اللغة–. إضافة إلى ذلك فإنّ جملة هذه الاصطلاحات استعارها الباحثون من علوم غير علوم اللغة ووظفوها في علم اللغة من باب تشبيه ما تركته المراحل السابقة في اللغة بما يتخلف ويترسب من أتربة ورمال وصخور...

2. مفهوم الشذوذ والاطّراد:

1.2. مفهوم الشذوذ:

أ. لغـــــــة:

الشذوذ مصدر سماعي من الفعل الثلاثي المضعّف "شذَّ". يقول "ابن فارس" (ت395هـ) في معجمه "مقاييس اللغة": «الشِّينُ وَالذَّالُ يَدُلُّ عَلَى الانْفِرَادِ وَالمفَارَقَةِ: شَذَّ الشَّيْء يَشِذُّ شُذُوذًا، وَشُذَّاذُ النَّاس: الّذِين يَكُونُون فِي القَوْمِ وَلَيْسُوا مِنْ قَبَائِلِهِم وَلَا مَنَازِلِهِم، وَشَذَّانُ الحَصَى: المتَفَرّقُ مِنْهُ».[3]

وجاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت 817هـ): «شَذَّ، يَشُذُّ، وَيَشِذُّ، شَذًّا، وَشُذُوذًّا: نَدَرَ عَنِ الجمهُورِ».[4]

---

[1] تطور صوت الجيم في اللغة العربية وأثره في تشكيل بنية الكلمة، جامعة مؤتة، مؤتة، الأردن، م14، ع5، 1999، ص: 314.

[2] ينظر: مر. ن، ص. ن.

[3] مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، 609/1، مادة (ش ذ ذ).

[4] القاموس المحيط، مر: أنيس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2008، ص: 847، مادة (ش ذ ذ).

وعليه فالشاذ في اللغة يعني: الانفراد، والندرة، والتفرق.

ب. اصطلاحا:

جاء في تعريف الشاذّ اصطلاحا أنّ: «الشذوذ هو الخروج عن القياس، وعدم الاتساق مع المألوف من القواعد العامة، أو هو مخالفة القياس من غير نظر إلى قلة وجوده وكثرته».[1]

وعرّفه "علي أبو المكارم" بأنّه: «ما خالف القواعد النّحوية والنصوص اللغوية مسموعة أو مروية، ففارق ما عليه بقية بابه، وانفرد عن ذلك إلى غيره».[2]

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للشذوذ عن معناه في اللغة؛ فالشاذ هو كل ما خالف الأصل في ظواهر اللغة، وفارق المطّرد وانفرد بذاته، حتى صار نادرًا.

والملاحظ في التعريفين أنّهما قابلا الشاذّ بالمطّرد من القواعد النحوية، والخروج عن القياس، وإن كان الأصل مقابلتها بالظواهر اللغوية المطّردة؛ ذلك أنّ القواعد النحوية إنّما تُستقرأ من الظواهر اللغوية المطّردة، وأمّا الشاذة فمبدأ القدامى في التعامل معها هو أنّ "الشاذّ يحفظ ولا يقاس عليه"، فلا يُتخذ أصلًا لوضع القاعدة ولا القياس عليه.

2.2. مفهوم الاطّراد:

أ. لغـــــة:

الاطّراد مصدر قياسي للفعل "اطَّرد"، وهو على وزن "افتَعَل" مزيد بالهمزة والتاء، وأصله "اطتَرد"، فلما جاوزت التاء صوت الطاء أبدلت طاءً وأدغمت في الطاء الأصلية فصار بلفظ "اطَّرَدَ"، ومجرده "طَرَدَ"، وله في اللغة عدة معانٍ منها:

[1] محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص: 113.
[2] أصول التفكير النحوي، دار غريب، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص: 99.

التتابع والاستمرار: جاء في "مقاييس اللّغة": «اطَّرَدَ الشَّيءُ اطِّرَادًا، إذَا تَابَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وإنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ تَشْبِيهًا كَأَنَّ الأَوَّل يَطْرُدُ الثَّانِي».[1] وفي "القاموس المحيط": «وَالمطَّرِدُ، الّذِي يُولَدُ بَعْدَكَ، وَأَنْتَ أَيْضًا طَرِيدُهُ».[2] «وَاطَّرَدَ الأَمْرُ: تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا».[3]

الاستقامة: يقول ابن فارس: «وَاطَّرَدَ الأَمْرُ: اسْتَقَام».[4]ومثله في القاموس المحيط.[5]

وعليه فالاطّراد في اللغة يحمل دلالات: "التتابع والاستمرار والاستقامة".

ب. اصطلاحا:

يراد بالاطّراد في أصول النّحو أن تتتابع الظواهر اللغوية على وتيرةٍ واحدةٍ ويشيع تداولها على منوالٍ واحدٍ، يقول ابن جني (ت392هـ): «فجعل أهل علم العرب ما استمرّ من الكلام في الإعراب وغيره من الصّناعة مطّردًا».[6]

ويعرّف "نجيب اللبدي" الاطّراد بأنّه: «التتابع والاستقامة، واطّراد القاعدة هو تتابعها وعدم تخلّفها».[7]

إذن فالمعنى الاصطلاحي لـ "الاطّراد" يتوافق والدّلالات المعجمية؛ فهو تتابع ظواهر اللغة على تعدّد مستوياتها وجرياتها على منوالٍ واحدٍ، ما يجعلها صالحة لأن تُستقرأ منها قواعد اللغة.

---

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة، 94/2، مادة (ط ر د).

[2] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص997، مادة (ط ر د).

[3] مر. ن، ص: 998، مادة (ط ر د).

[4] مقاييس اللغة، 94/2. مادة (ط ر د).

[5] ينظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 998. مادة (ط ر د).

[6] الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1952، 97/1.

[7] معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص: 139.

3. مفهوم الفصحى واللهجات:

1.3. مفهوم الفصحى:

أ. لغـــــــة:

"الفصحى" صفة مؤنثة لموصوفٍ محذوفٍ تقديره: "اللغة"، وهي مشتقة من "فَصُحَ". يقال في اللغة: «رَجُلٌ فَصِيحٌ وَكَلَامٌ فَصِيحٌ أَيْ بَلِيغٌ، وَلِسَانٌ فَصِيحٌ أَيْ طَلْقٌ. وَيُقَالُ: كُلُ نَاطِقٍ فَصِيحٌ وَمَا لَا يَنْطِقُ فَهُوَ أَعْجَمُ. وَفَصُحَ العَجَمِيُّ جَادَتْ لُغَتُهُ حَتَّى لَا يَلْحَنَ».[1]

وجاء في "القاموس المحيط" للفيروز آبادي: «الفَصْحُ وَالفَصَاحَةُ: البَيَانُ، فَصُحَ كَكَرُمَ، فَهُوَ فَصِيحٌ وَفَصْحٌ مِنْ فُصَحَاءَ وَفِصَاحٍ وَفُصُحٍ، وَاللَّفْظُ الفَصِيحُ مَا يُدْرَكُ حَسَنُهُ بِالسَّمْعِ، وَأَفْصَحَ: تَكَلَّمَ بِالفَصَاحَةِ، وَفَصَحَكَ الصُّبْحُ بَانَ لَكَ، وَغَلَبَكَ ضَوْؤُهُ».[2]

من خلال تتبع معنى الفصحى في معاجم لغة تبيّن أنّها لا تخرج عن دلالات: "البيان والإيضاح".

ب. اصطلاحا:

تعرّف الفصحى في الاصطلاح بأنّها: «اللّغة النموذجية المشتركة بين القبائل العربية المنتخبة –قبيل الإسلام– وعندما اكتمل نضجها وأصبحت وافيةً بكل مطالب الحياة نزل بها القرآن الكريم، فأورثها عزًّا وخلودًا ما دامت هذه الحياة، وأضحت لغةً عالميةً تلازم الإسلام».[3] وعليه فالفصحى هي اللغة الجامعة لكل اللّهجات العربية في مختلف الأقطار، تحتل المكان الأعلى من سلّم الفصاحة، ودرجات

[1] أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، (د. تح)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1986، ص: 225. مادة (ف ص ح).
[2] ينظر: القاموس المحيط، ص: 1249. مادة (ف ص ح).
[3] فتحي أنور عبد المجيد الدابولي: بين الفصحى والعامية، مجلة كلية اللغة العربية، الزقازيق، مصر، ع10، 1990، ص: 757.

البلاغة، فهي السليمة من الخطأ واللّحن في كلماتها وضبط حروفها؛ أي الصحيحة نحويًّا والواضحة دلاليًّا، لا يكتنفها الغموض ولا الإبهام.[1]

وقد احتفظت الفصحى بأسسها الثابتة من حيث القواعد الصرفية والنّحوية مع تقادم الزّمن، وساعدها على ذلك حبّ العرب لها، وتمسكهم بها، ونزول القرآن الكريم بلسانها ما أكسبها منزلةً لا تضاهيها منزلة.[2]

2.3. خصائص العربية الفصحى:

ذكر السيوطي أنّ العربية أفضل اللغات وأوسعها،[3] مشيرًا لما للعرب من الاستعارة والتمثيل، والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن التي لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة.[4] ويمكن ذكر أهم الخصائص التي تتسم بها الفصحى في النقاط الآتية:[5]

_ كثرة المفردات والاتساع في الاستعارة والتمثيل.

_ التعويض: وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة، كإقامة المصدر مقام الأمر، نحو: «**صَبْرًا آلَ يَاسِر فَإِنَّ مَوعِدَكُم الجَنَّة**»، على تقدير: اصبروا، والفاعل مقام المصدر، نحو: ﴿**لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ**﴾ [الواقعة/2] أي: تكذيب، والمفعول مقام المصدر، نحو: ﴿**بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ**﴾ [القلم/6] أي: الفتنة، والمفعول مقام الفاعل، نحو: ﴿**حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ [الإسراء/45] أي: ساترًا.

_ ترك الجمع بين الساكنين، وقد يجتمع في لغة العجم ثلاثة سواكن.

---

[1] ينظر: فتحي أنور عبد المجيد الدابولي: بين الفصحى والعامية، ص: 757.

[2] ينظر: جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص: 191.

[3] ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، (د. س)، 321/1.

[4] ينظر: مر. ن، 322/1.

[5] ينظر: نايف محمود معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص: 39 وما بعدها.

_ العربيّة لغة قياسيّة مضبوطة القواعد.

_ العربيّة تفرق بالحركات وغيرها بين المعاني، تقول العرب: "مِفْتَح" (بكسر الميم) للآلة التي يفتح بها، و"مَفْتح" (بفتح الميم) لموضع الفتح.

_ التوليد الذّاتي: وقد تحدث عنه القدماء بتحفظٍ وحذرٍ، وقالوا عنه أنّه: "ما أحدثه المولدون الذين يحتج بألفاظهم". والتوليد في نظر المحدثين: "هو لفظ عربي البناء أعطي في اللغة الحديثة معنى مختلفًا عمّا كان العرب يعرفونه".

_ التوليد بالاشتقاق: وهو أخذ كلمة من كلمة أخرى، مع المحافظة على القرابة بينهما، لفظًا ومعنى، ممّا يجعل آخر هذه اللغة يتصل بأولها في نسيج خاص بها. هذه الخاصية تسمح للغة العربية إنتاج عدد كبير من الكلمات من جذرٍ لغويٍّ واحدٍ.

_ النّحت: عرَفه العرب منذ زمن بعيد كوسيلة من وسائل نماء لغتهم؛ إذ دمجوا كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة، تتضمن كل منها معنى ملحوظًا في المصطلح المنحوت.

_ ظاهرة الإعراب: وهذه الظاهرة ليست حلية لفظية أو علامات لا تفيد معنى؛ إذ هناك ارتباطٌ وثيقٌ بين الإعراب والمعنى؛ حيث يرى "ابن فارس" أنّ من العلوم الجليلة التي اختصت بها العربية "الإعراب" فهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول، ولا تعجب من استفهام.[1]

– التخفيف: ومن أبرز مظاهره غلبة الأصول الثلاثية في العربية، يقول ابن جني: «إنّ الأصول ثلاثة: ثلاثي ورباعي وخماسي، فأكثرها استعمالًا وأعدلها تركيبًا الثلاثي؛ وذلك لأنّه حرف يبتدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه».[2] ولعل ميل العرب إلى الثلاثي كان لخفته.

[1] ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س)، ص: 76.
[2] الخصائص، 65/1.

3.3. مفهوم اللهجة:

أ. لغـــــــة:

جاء أصل اشتقاقها بوجهين:

الأول: أنّها مأخوذة من «لَهِجَ بِالأَمْرِ لَهَجًا، ولَهْوَجَ، وأَلْهَجَ، كلاهما: أُولِعَ بِه واعْتَادَهُ، فُلَان مُلْهَجٌ بِهَذَا الأَمْرِ أَيْ مُولَعٌ بِه».[1]

الثاني: أنّها مشتقة من «لَهِجَ الفَصِيلُ بِأُمِّهِ يَلْهَجُ إِذَا اعْتَادَ رَضَاعَهَا، فَهُو فَصِيلٌ لَاهِجٌ».[2]

وعليه فاللهجة في دلالتها اللغوية تعني الاعتياد والولوع، جاء في "المقاييس" لابن فارس (ت395هـ) قوله: «سُمِّيَت لَهْجَةً لِأَنّ كُلًّا يَلْهَجُ بِلُغَتِهِ وكَلَامِهِ».[3]

ب. اصطلاحا:

اللهجة في أبسط صورها هي «تلك الصورة من الاستعمال اللغوي الخاص بجماعة بشرية معيّنة، من الجماعة الكبيرة صاحبة اللغة، والتي ارتبطت ببيئة جغرافية معيّنة، لها سماتها ومظاهرها المتميزة».[4]

يعرّفها "إبراهيم أنيس" بأنّها: «مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزءٌ من بيئة أوسع وأشمل تضم عدّة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسّر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهمًا يتوقّف على قدر الرابطة التي تربط

---

[1] ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 359/2، مادة (ل هـ ج).

[2] مر. ن، ص. ن، مادة (ل هـ ج).

[3] ينظر: مقاييس اللغة، 462/2، مادة (ل هـ ج).

[4] محمد أحمد خاطر: في اللهجات العربية "مقدمة للدراسة"، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1979، ص: 39.

بين هذه اللهجات».[1] وعليه فاللهجة هي جملة السمات الكلامية المشتركة بين أفراد منطقة جغرافية محددة.

قد تكون اللهجة اجتماعية تميّز طبقةً عن طبقةٍ، أو جغرافية أي (إقليمية) تميْز إقليمًا عن إقليم. فما يتكلمه الناس فعلًا هو لهجة من لهجات اللغة، وليس اللغة ذاتها. كما أنّ اللهجات تتمايز فيما بينها في بعض الفونيمات والألفونات، وبعض السمات الصوتية مثل: التأنيف والتغوير والإطالة والإطباق. وقد تمتاز اللهجة عن سواها في سمات صرفية أو نحوية أو دلالية أو مفرادتية.[2]

ويمكن تقسيم اللهجات العربية باعتبار الزّمن إلى قسمين:

أ. **اللهجات العربية القديمة**: وسادت شبه الجزيرة العربية قبيل الإسلام واستمرت بعده ردحًا من الزّمن. وتتمثل في أنّها كيفيات خاصة في استعمال العرب للغة العربية.[3] فهي أوجه أدائية للغة.

ب. **اللهجات العربية الحديثة "المعاصرة"**: وهي اللهجات المستعملة في الوقت الحاضر في مختلف الأمصار العربية، وعلى الرّغم من اختلاف هذه اللهجات فيما بينها وبين الفصحى في ظواهر عدّة، فإنّها تشترك فيما بينها –اللهجات الحديثة– في جملة من الخصائص أهمها:[4]

– تجرّدها من جميع الحركات التي تلحق آخر الكلمات في العربية الفصحى، سواء في ذلك ما كان منها علامة إعراب وما كان حركة بناء، فينطق في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر، وتلتزم حالة واحدة في الكلمات المعربة بالحروف.

– استبدلت في هذه اللهجات، الطرق الدقيقة التي تسير عليها العربية الفصحى في تركيب الجملة، وترتيب عناصرها، بطرق بسيطة ساذجة وأساليب حرة طليقة.

---

[1] في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1992، ص: 16.

[2] ينظر: محمد علي الخولي: معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، السعودية، ط1، 1982، ص: 164.

[3] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، الجزائر، (د. ط)، 2012، ص: 154.

[4] ينظر: علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط3، 2004، ص: 115.116.

– لم تحتفظ هذه اللهجات إلّا بجزءٍ يسيرٍ من تراث أمها العربية، وثروتها العظيمة في المفردات، ويتمثل هذا الجزء في الكلمات الضرورية للحديث العادي.

وبالتالي فإنّ اللهجات العربية الحديثة هي انحراف للفصحى اقتضته ظروف نشأتها والعادات الصوتية التي دأب عليها أهل كل بلاد.

4.3. المحطات الكبرى في تاريخ اللغة العربية:

تعدّ اللغة العربية من أقدم اللغات الإنسانية؛ إذ يمتد تاريخ أقدم نصوصها إلى عصور ما قبل الميلاد، ومع ذلك فإنّ الحديث عن أطوار نموها تفصيلًا حديث لم تصل فيه الأبحاث العلمية إلى درجة اليقين. وإن كان من الممكن رصد مراحل تطوّرها الكبرى في الآتي:

أ. الأصل السامي للعربية:

تعدّ اللغة العربية إحدى اللغات السامية، انشعبت وأخواتها الساميّات: «العبرية، والآرامية، والسريانية، والبابلية الآشورية»،[1] من أرومةٍ واحدةٍ، نبتت في أرضٍ واحدةٍ. فلمّا تكاثر عدد الساميين وخرجوا من مهدهم اختلفت لغتهم الأولى بالاشتقاق والاختلاط، وزاد انقطاعُ الصّلة وتأثير البيئة وكذا تراخي الزمن هذا الاختلافَ، حتى أصبحت كل لهجة منها لغةً مستقلةً بذاتها.[2] ومن جملة الخصائص المشتركة بين اللغات الساميّة نذكر ما يلي: [3]

[1] حسن ظاظا: الساميون ولغتهم "تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب"، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1990، ص: 12.

[2] ينظر: أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س)، ص: 13.

[3] ينظر: إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، تر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، ط1، 1929، ص: 14 وما بعدها.

- أغلب الكلمات يرجع في اشتقاقه إلى أصل ذي ثلاثة أحرف (لبعضها أصل ذو حرفين) وهذا الأصل فعلٌ يضاف إلى أوله أو آخره حرف أو أكثر، فتتكون من الكلمة الواحدة صورٌ مختلفة تدلّ على معانٍ مختلفة.
- ليس في اللغات الساميّة أثرٌ لإدغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنان كلمة واحدة تدلّ على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هي الحال في غير اللغات الساميّة.
- تميل الأمم الساميّة في أساليبها الكتابية إلى المحافظة على القديم وعدم الرغبة في إحداث شيء من التغيير والتحوّل، من أجل ذلك كثّرت القيود وظهر الجمود في الأساليب الكتابية عند الأمم القديمة منها والمتأخرة.
- ليس للفعل في معظم اللغات الساميّة إلّا زمنان: فعل انتهى زمنه "ماضٍ"، وفعل لم ينته زمنه "مضارع للحال أو الاستقبال، وأمر".[1]
- يحدث في الغالب تأنيث الاسم والصفة في اللغات الساميّة والحاميّة بإضافة تاء إلى المذكر.[2]

ب.عربية الشمال وعربية الجنوب:

اتفق مؤرخو العرب أن يقسموا العربية قبل الإسلام إلى قسمين رئيسيين هما:

- **عربية الجنوب:** يطلق عليها العلماء اسم "اليمنية القديمة" أو "القحطانية"، ويلقبها بعضهم أحيانًا "بالسبئية" تسمية لها بأشهر لهجاتها؛[3] إذ يذكر المؤرخون أنّ عرب اليمن –عرب الجنوب– ينتسبون إلى "يعرب بن قحطان"، ويُعرَفون بالعرب العاربة؛ لأنّهم الجنس الأصلي للعرب من نسل سام بن نوح عليه السلام.[4] وأهم لهجات العربية الجنوبية أربع هي: «المعينية، والسبئية، والحضرمية، والقتبانية».[5]

[1] علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص: 17.

[2] مر. ن، ص. ن.

[3] ينظر: صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم، بيروت، لبنان، ط2، 2009، ص: 52.

[4] ينظر: محمد إبراهيم الفيومي: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط4، 1994، ص: 98.

[5] صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص: 52.53.

- **عربية الشمال:** وأمّا عرب الشمال فهم العدنانيون، ويعرفون بالعرب المستعربة، يرجع نسبهم إلى عدنان الذي هو من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.[1] وانقسمت عربية الشمال إلى قسمين هما: العربية البائدة والعربية الباقية.

ج. العربية البائدة والعربية الباقية:

أمّا العربية البائدة فيقصد بها عربية النقوش، تلك العربية التي بادت قبل الإسلام، ويرى مؤرخو العربية أنّ العرب البائدة تطلق على: عاد، وثمود، والعمالقة، وطسم، وجديس، وأميم، وجرهم، وحضرموت ومن ينتمي إليهم. وأهم لهجات العربية البائدة ثلاث هي: الثمودية، والصفوية، واللحيانية.[2]

وأمّا عن آثارها فلا يتجاوز أقدم ما وصلنا من نقوش هذه العربية القرن الأول قبل الميلاد؛[3] إذ لم يصلنا منها سوى بعض النقوش التي يقال إنّها تمثل العربية قبل الأدب الجاهلي وهي: نقش النّمارة الذي كُشف في مدفن امرئ القيس،[4] ونقش زبد، ونقش حوران.[5]

وأمّا العربية الباقية فهي التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي، والقرآن الكريم، والسنة النبوية، ولا تزال تستخدم في الكتابة والتأليف والأعمال الأدبية،[6] أمّا عن آثارها فلا تتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد.[7]

---

[1] ينظر: علي الجندي: تاريخ الأدب الجاهلي، دار التراث، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1991، ص: 37.

[2] صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص: 55.

[3] ينظر: مر. ن، ص: 54.

[4] ينظر: إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص: 189.

[5] ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص: 34.35.

[6] ينظر: صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، ص: 59.

[7] ينظر: مر. ن، ص: 54.

د. العربية الباقية وأشهر لهجاتها:

تفرعت العربية الباقية منذ قديم زمانها إلى عدّة لهجات لكلّ لهجة ما يميزها من خصائص صوتية – خاصة– كان للبيئة الدور الأساس في نشأتها. من مثل: لهجة تميم، ولهجة أهل الحجاز...

وعلى فرض أنّ اللغة العربية كانت في الأصل لغة واحدة على ألسنة العرب الأوائل قبل تفرعها إلى عدّة لهجات، فإنّ ذلك كان نتيجة حتمية لعدد من الأسباب لعل أهمها: اتساع رقعة اللغة العربية، وانتشارها في نطاق واسع من شبه الجزيرة العربية، وتكلم طوائف مختلفة من الناس بها؛ إذ من قوانين اللغات أنّه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة وازداد عدد المتكلمين بها استحال عليها الاحتفاظ بحالتها الأولى، فلا تلبث أن تنشعب إلى عدة لهجات، وهذا ما حصل مع اللغة العربية؛ فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من المظاهر اللغوية،[1] تجلت أكثرها في المستوى الصوتي؛ إذ كان لكل قبيلة تقريبًا ظاهرة صوتية مميزة؛ حتى إذا نطق العربي نُسب إلى قبيلته من منطقه بما يصطلح عليه حديثًا بالبصمة اللّغوية، ومن هذه الظواهر الصوتية: الكشكشة، والعنعنة، والعجرفية، والتلتلة، والطُّمطُمانية، وما إلى ذلك.

وامتازت لغة قريش من بين سائر اللغات العربية بقوة فصاحتها، وخلوها من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ، حتى عدّت اللغة الأدبية النموذجية –على ما يراه أكثر المحدثين–. ولم تكن لغة قريش لتبلغ ذلك الشأن لولا ما توفر لها من عوامل أسهمت في ارتقاء قبيلة قريش بين القبائل العربية ما انعكس على لغتها، ولعل أهم أسباب ذلك تحصر في: العامل الديني، والعامل الاقتصادي، والعامل الاجتماعي، والسياسي.[2]

[1] ينظر: علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص: 86.87.

[2] لتفاصيل أكثر يمكن الاطلاع على المراجع الآتية: عبد الغفار حامد هلال: اللهجات العربية نشأةً وتطورًا، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 1993، ص: 83.84.85. وعلي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص: 87 وما بعدها.

هـ. العربية في زمن القرآن وبعده:

كان من عظيم فضل الله على أمة العرب أن أخرج منهم خير نبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأتمّ الشرف للغتهم بأن جعلها لسان آخر كتبه المنزلة. وكان فضل القرآن –ومثله الحديث– على العربية عظيمًا؛ إذ زادها بلاغةً وبيانًا، وأسهم في انتشارها خارج بيئتها الجغرافية المعهودة "شبه الجزيرة العربية"، وجعل الأمم الأعجمية طوعًا للدين الجديد وطوعًا للغته، وكان ذلك زمن الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء ومن أعقبهم، حتى بلغت العربية حدود الصين وجنوب أوروبا.

ومن آثار القرآن الكريم والحديث النبوي الجليلة في اللغة العربية ما يلي:[1]

- تقوية سلطان اللغة القرشية، فقد كان لنزول القرآن ومجيء الحديث بلغة قريش، وهما دعامة الدّين الإسلامي الذي اعتنقه معظم قبائل العرب، أعظم أثر في توطيد هذه اللغة، وتثبيت دعائمها وتقوية سلطانها على الألسنة.
- تهذيب اللغة العربية وتلقيحها والنهوض بها إلى أرقى مستوى للغات الآداب، ويبدو هذا الأثر في مختلف النواحي اللغوية: في الأغراض، والمعاني، والأخيلة، والأساليب، والألفاظ.

ولكن انتشار العربية، ودرجها على ألسنة الأعاجم أفضى إلى ظهور اللّحن –الذي ما لبث ينتشر كالوباء– حتى أضحت العربية غريبة في موطنها، لا تكاد تقام لها حرمة في منطقها المعهود. وكان ذلك دافعًا أساسًا لوضع قواعد النحو، التي جدّ علماء العربية في سنِّ قوانينها واستقرائها فما بقي نصًا من نصوصها، لاسيما القرآن وكلام العرب شعرًا ونثرًا، وكان هذا الاستقراء يستند إلى ما كثُر استعماله وشاع في منطق العرب، وهو ما اصطلح عليه بالمطّرد، وأمّا ما قلّ استعماله، وشذّ تداوله فعدّه علماء العربية في مرتبة الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه.

[1] علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص: 93.94.

ولعلّ المسوغ الرئيس في اعتماد المطّرد وترك الشاذ هو تحقيق عدم اضطراب قواعد اللغة، وذلك شأن سائر اللغات وقواعدها.

5.3. العلاقة بين اللغة واللهجة:

من المقرر في قوانين اللغات أنّه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة، وازداد عدد المتكلمين بها استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدًا طويلًا، فلا تلبث أن تنقسم إلى عدة لهجات. ولم تفلت اللغة العربية من هذا القانون العام، فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد.[1]

إنّ اللهجة اتجاه منحرف داخل اللغة يتصل كل منهما بالصوت، فأمّا اللغة فترتبط به من حيث إفادة المعنى، وأمّا اللهجة فمن حيث صورة النطق وهيئته.[2]

والواقع أنّ اللهجات _في أية لغة من اللغات_ لا يفصل بينها وبين اللغة المشتركة سوى بعض الخصائص الصوتية، فاللهجة في الاصطلاح الحديث كما أسلفنا الذكر هي عادات كلامية تميز جماعة لغوية عن غيرهم من متكلمي اللغة نفسها. يشترك في تلك الصفات النطقية جميع الأفراد الذين ينتمون لبيئة معيّنة هي جزء من بيئة أكبر، تلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدّة لهجات وتسمى باللغة أو بيئة اللغة، فتكون تبعًا لذلك العلاقة بين اللغة واللهجة علاقة عمومٍ وخصوصٍ.[3]

[1] ينظر: علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص: 86.87.

[2] ينظر: عبد الغفار حامد هلال: اللهجات العربية نشأةً وتطورًا، ص: 35.

[3] ينظر: عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1993، ص: 225.

ثانيًا: الركام اللغوي تفسيرًا "للشاذ".

يعدّ الركام اللغوي –على مذهب رمضان عبد التواب– تفسيرًا لضرب من أضرب الشذوذ في الفصحى، والتي عدّها على حسب تصنيفه ثلاثة أضرب. سيأتي التفصيل فيها لاحقًا.

1. مراتب الكلام العربي في الشذوذ:

قسم علماء اللغة الأوائل الشاذّ في كلام العرب إلى ثلاثة أضرب:[1]

أ. **شاذٌ في الاستعمال مطّردٌ في القياس:** وهو ما قلّ استعماله في كلام العرب الفصحاء، ولكنّ القاعدة النحوية تسمح به، ومنه: الماضي من "يَدَعُ" وهو "وَدَعَ"،[2] فهذا الفعل يقلّ استعماله في كلام العرب، ويستعيضون عنه بالفعل "تَرَكَ"، وإن كان القياس يقرّه ويتوافق معه. وما سُمع من شواهد له، فهي من الشاذّ نحو قراءة قوله تعالى: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾ [الضحى/03].

ويذكر السيوطي (ت911هـ): «وممّا يَقوى في القياس ويضعُف في الاستعمال، استعمال مفعول "عسى" اسما صريحا نحو قولك: عسى زيدٌ قائمًا أو قيامًا. هذا هو القياس غير أنّ السماع ورَد بحَظْرِه والاقتصار على ترك استعمال الاسم هاهنا وذلك قولهم: عسى زيد أن يقوم، و﴿**عَسَى اللهُ أَنْ يَّأْتِيَ بِالفَتْحِ**﴾ [المائدة/52]».[3] ومنه أيضا قولهم: «**عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُسًا**».[4]

ب. **مطّردٌ في الاستعمال شاذٌ في القياس:** وهو ما كثُر استعماله في فصيح الكلام، ولكنه خالف أقيسة علماء العربية؛ ويفسّر هذا الضرب من الكلام باطّراده في ذاته على ألسنة العرب مع مخالفته لما عليه بقية بابه؛ فهو وإن كثُر استعماله على حاله، إلّا أنّه لا يصلح لأنّ تُستنبط منه القاعدة

[1] ينظر: أبو علي الفارسي: المسائل العسكريات في النحو العربي، تح: علي جابر المنصوري، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ط2، 1982، ص: 45.

[2] ينظر: ابن جني: الخصائص، 45.46/1.

[3] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 228/1.

[4] مر. ن، ص. ن.

اللغوية؛ لأنّ من بابه ما هو أكثر اطّرادًا منه، والأصل في هذا الباب أن نستعمل منه ما استعملته العرب، دون أن نقيس عليه، أو أن نُعمل فيه القياس. ومن شواهد هذا الضرب قول العرب: أَخْوَصَ الرِّمْث، واسْتَصْوبت الأمر. ومنه قولهم: استَحْوذَ، وأغْيلت المرأة، واستنوق الجملُ، واسْتَتْيَسَت الشاة، واسْتَفْيَل الجمل.[1]

ج. **شاذٌ عنهما**: أي في السماع والقياس معًا، ويراد به ما كان مخالفًا للمسموع من جهة، ولأقيسة العربية من جهة ثانية، أو هو ما قلّ استعماله في كلام العرب، ولم تسمح القاعدة بوقوعه. ومن شواهده: «تتميم مفعول ممّا عينه (واو) أو (ياء)، نحو: ثوب مَصْوُون، ومسك مَدْوُوف. وحكى البغداديون: فرس مَقْوُود، ورجل معْوُود من مَرَضه، وكلُّ ذلك شاذٌّ في القياس والاستعمال، فلا يسوغ القياس عليه ولا يردُّ غيره إليه».[2]

2. تفسير ظاهرة الشذوذ من وجهة نظر اللغويين المحدثين:

تفنن علماء العربية في تعريف الشاذّ وكذا ذكر شواهده، ولكنهم لم يعرضوا لتفسير أسبابه؛ بل كان من فعل المحدثين، ومنهم "رمضان عبد التواب" الذي أرجع الأسباب الكامنة وراء وقوع الشاذّ في اللغة إلى ما يلي:

أ. **ما هو بقايا مرحلة لغوية سابقة**: وهو ما اصطلح عليه بـ "الركام اللغوي"؛ أي بقايا الظواهر اللغوية التي كانت شائعة في مرحلة سابقة من مراحل تطوّر اللغة،[3] ثم حلّت محلّها ظواهر جديدة، غطّت عليها، واندثرت الظواهر السابقة، مع استمرار بعض الأمثلة منها في الحياة، مُنبهة على تلك المرحلة المندثرة.

ولَمّا كان تاريخ اللغة العربية يمتد إلى أصلها السامي، فقد فُسرت ظواهر لغوية شاذة عديدة بانتمائها إلى هاته الحقبة المغمورة من تاريخ العربية على نحو ما سنفصل فيه لاحقًا.

---

[1] ينظر: ابن جني: الخصائص، 46/1.

[2] مر. ن، ص. ن.

[3] ينظر: رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص: 58.

ب. **ما هو بداية مرحلة جديدة:** فقد يكون الشاذّ بداية تطوّر ظاهرة لغوية ما؛ ذلك أنّ التطور اللغوي يحدث تدريجيًا، فعندما تستجد ظاهرة لغوية في لغة ما، فإنّها تبدأ قليلة في مقابل الظاهرة القديمة –ومن ثمة تشكّل شاذًّا أيضا– فتتعاصر الظاهرتان القديمة والجديدة ردحًا من الزّمن، ثم تتبادلان الأدوار بحيث تصبح الظاهرة الجديدة مطّردة، والقديمة شاذة. وفي هذا الصدد يقول "رمضان عبد التواب": «بدايات التطوّر في ظاهرة من ظواهر اللغة، نراها سائدةً مطّردةً بعد ذلك في حلقتها الجديدة، التي آلت إليها لغة من اللغات».[1]

ج. **ما هو مكتسب من بيئة أخرى:** يذهب "عبد التواب" إلى أنّ «الأمثلة المستعارة في أية لغة، من نظام لغوي مجاور، هي شاذة هنا، غير أنّها قد تكون مطّردة تمام الاطّراد في ذلك النظام اللغوي المجاور».[2]

وبالتالي فالشاذ في أي لغة –بتقدير رمضان عبد التواب– يعود إلى واحدٍ من هذه الأسباب الثلاثة.

3. أسباب الركام اللغوي:

وجود الركام في اللغة مرتبط بمدى تطوّرها؛ ففي أثناء التطور الذي يلحق اللغة تبقى بعض الأمثلة الخاصة بالظواهر اللغوية القديمة مستمرة بمرور الزمن، تلك البقايا اللغوية هي ما يصطلح عليه في مراحل لاحقة من عمر اللغة بـ "الركام اللغوي". وفيما يلي سنتعرف كيف للتطور اللغوي أن يكون سببًا في تشكّل الركام في اللغة.

إنّ اللغة كائن حيّ، لأنّها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وتتطور وتتغير بفعل الزّمن، كما يتطور الكائن الحيّ ويتغير. وهي في نشأتها وتطورها تخضع لما يخضع له هذا الأخير في نشأته ونموه وتطوّره. وكونها ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع فإنّها ترقى برقيه وتنحط بانحطاطه؛[3] ذلك أنّنا «لو

[1] بحوث ومقالات في اللغة، ص: 58.

[2] مر. ن، ص. ن.

[3] ينظر: رمضان عبد التواب: لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص: 35.

استعرضنا تاريخ حياة اللّغة لوجدناها تمرّ بأطوار أساسية ثلاثة: طور الطفولة، وطور الشباب، وطور النضوج، على أنّ المدّة التي تقضيها اللّغة في كل طورٍ من هذه الأطوار تختلف باختلاف الظروف والأسباب، فقد تبقى اللّغة في طفولتها لا تنتقل إلى طور آخر، مدام الشعب في حياته البدائية الأولى كلغات الشعوب في إفريقيا الوسطى، وقد تنتقل طفرة إلى النّضوج، إذا أتيح لها من الفرص ما يؤهلها لأن تأخذ مكانتها بين اللغات المهذبة الرّاقية، وهكذا نجد اللّغة –باعتبارها ظاهرة اجتماعية– تتأثر بما تتأثر به سائر الظواهر الاجتماعية الأخرى، وهذه الأطوار الثلاثة، إنّما هي المراحل الرئيسة التي مرّت بها كل من اللّغة اللاتينية واليونانية، ونعتقد أنّها هي نفسها التي مرّت بها اللغة العربية».[1]

وعليه فإنّه ينطبق على العربية ما ينطبق على غيرها من اللغات؛ إذ إنّ اختلاف اللغات في الشكل والمظهر لا يمكن أن يكون سببًا للقول بعدم تطوّر لغة ما؛ ذلك أنّ التطور يلحق باللّغة بعدِّها ظاهرة اجتماعية بغض النظر عن اختلاف تركيبها.

واللغة العربية لم تكن بدعًا، ولا منفردةً في نشأتها، لذا ينبغي ألّا يحول جهلنا بتاريخها بيننا وبين الاطمئنان إلى هذا الافتراض، كما ينبغي ألّا يمنعنا الجهل من تطبيق ما حصل في اللغات الأخرى على العربية من حيث النشأة والتطور؛ إذ إنّ القوانين الطبيعية واحدة في ماهيتها، وإن اختلفت شكلًا ومظهرًا.[2]

ويتّسم التطوّر اللغوي بكونه بطيئًا لا يتّم بين يوم وليلة، بل يستغرق ردحًا غير يسير من الزّمن، ومستمرًا يقع كل حين ولحظة،[3] وبالتالي فلا يلحظه أبناء الجيل الّذي تعرف اللغة فيه تغيّرًا؛ بل يمكن رصد ما حصل من تغيّرات خلال مراحل تاريخية لاحقة، من خلال القيام بمقارنة كاملة بين فترتين

[1] حسن عون: اللغة والنحو، ص: 55.

[2] ينظر: مر. ن، ص: 55.56.

[3] ينظر: التهامي الراجي الهاشمي: بعض مظاهر التطور اللغوي، دار النشر المغربية، الرباط، المغرب، (د. ط)، 1978، ص: 9.

متباعدتين ليتكشف لنا الأمر عن وجود اختلافات عميقة كثيرة، من شأنها أن تعوق فهم المرحلة السابقة وإدراكها إدراكًا تامًّا.[1]

يقول "أولمان ullmann" في هذا الصدد: «التطور الّذي يعتري جوانب اللّغة المختلفة لا يكون ملحوظًا أو محسوسًا من قبل أبناء الجماعة اللغوية الذين تتقلب اللغة فيما بينهم آنيًا، نظرًا لكونه بطيئًا متأنّيًا في بعض الأحيان، ولذلك فإنّ عملية ملاحظة هذه (الدّينامية اللغوية) ورصدها لا تتأتى لأبناء جيل لغوي واحد محدود في الزّمان والمكان، وأنّ الأمر يحتاج من أجل تحقيق هذه الغاية إلى فترات متطاولة ومتراوحة تصبح بعدها عملية الرّصد والملاحظة أمرًا مقدورًا عليه وميسورًا».[2]

لعل الحاجة إلى مواكبة التطورات والتغيرات الحاصلة في المجتمع هي السبب الأول لحدوث تطوّر في اللغة يتماشى ومتطلبات العصر والمجتمع على حد السواء.

والجدير بالذكر أنّ التطور اللغوي يمسّ جوانب اللغة جميعها؛ فاللغة كما يرى رمضان عبد التواب: «عرضة للتطور المطّرد في مختلف عناصرها: أصواتها، وقواعدها، ومتنها ودلالتها».[3] وهذا ما أكّده جلّ اللّغويين المحدثين، يقول "أولمان ullmann": «فالأصوات والتراكيب، والعناصر النحوية وصيغ الكلمات، ومعانيها معرضة كلّها للتغير والتطوّر، ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنيّة إلى أخرى ومن قطاع إلى أخر من قطاعات اللّغة».[4]

وهو ما ذكره "التهامي الراجي الهاشمي" في قوله: «كل شيء يستطيع أن يتطوّر في اللغة، وهكذا تتطور صيغة وقيمة الكلمات، ونعني به الصرف والألفاظ، كما يتطور وباستمرار ترتيب الكلمات في

[1] ينظر: دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س)، ص: 178.
[2] مر. ن، ص: 156.
[3] لحن العامة والتطور اللغوي، ص: 35.
[4] دور الكلمة في اللغة، ص: 178.

البلاغ، ونعني به النحو، أو ما يسمى حديثًا بالتركيبات، وأخيرًا تتطوّر طبيعة وشروط استعمال الوحدات المميزة ونعني به التطوّر الذي يلحق بالتشكيل الصوتي».[1]

إذن فكل عناصر اللغة يمسّها التطوّر بمرور الزمن، ولكن بسرعة تختلف باختلاف الفترات، وفي أثناء التطوّر الذي يمس جوانب اللغة تظهر صيغ وتراكيب جديدة، بينما تختفي إلى الأبد أو تهمل بالمرة مفردات وصيغ وتراكيب أخرى.[2] وتبقى بعض بقاياها ماثلة على مرّ الزمن، وهي ما تعرف بالركام اللغوي؛ فمختلف الفروقات اللّهجية لا تعدو «كونها أثرًا من آثار التطور العام الذي تخضع له كل لغة في سيرها الارتقائي، وتبقى هذه البواقي والمتخلفات لأسباب مكانية وظرفية، أو لأنّ التطور لم يتم دورته بما يكفي».[3] ويذكر "عبد الله العلايلي" أنّ «ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات، ليس له هذا المعنى حقيقة، وإنّما هي بقايا خلّفها التطوّر الذي لم يتكامل».[4]

نستخلص ممّا سبق أنّ التطوّر الذي تتعرض له اللغة باستمرار هو السبب الرئيس الكامن وراء تشكّل ظاهرة الركام اللغوي، فكون التطوّر بطيئًا يعني تعايش الظاهرتين –القديمة والجديدة– معًا فترة غير يسيرة من الزّمن، ما يجعل قضاء الظاهرة الحديثة على سالفتها يتّسم هو الآخر بالبطء، فتزداد بذلك فرص بقاء أمثلة من الظاهرة القديمة والتي تبقى شاهدة على المراحل الأولى للغة وأشكال تطوّرها.

[1] ينظر: بعض مظاهر التطور اللغوي، ص: 9.

[2] ينظر: مر. ن، ص: 10.

[3] إبراهيم السامرائي: التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس، القاهرة، مصر، ط2، 1981، ص: 180.

[4] مقدمة لدراسة لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، الطبعة العصرية، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س)، ص: 157.

ثالثًا: مظاهر الركام اللغوي في العربية الفصحى:

خلّف التطور الذي لحق العربية بقايا لغوية تعود إلى مراحل تاريخية قديمة، اصطلح عليها المحدثون بالركام اللغوي، وقد سُجِّل في مستويات اللغة جميعًا من أصغر وحداتها "الصوت" إلى الصّيغ والتراكيب. وفيما يلي عرض لبعض مظاهر هذه الظاهرة في المستويات اللغوية الثلاثة:

1. مظاهر الركام اللغوي في المستوى الصوتي:

يقصد بالركام في المستوى الصوتي تلك البقايا الصوتية التي احتفظت بها العربية من مراحل تاريخية قد تصل بها إلى أصلها السامي؛ ذلك أنّ الأصوات اللغوية في تطور مستمر؛ إذ لا تثبت على حال. ومن صور الركام في هذا المستوى نذكر:

1.1. تطور صوت الضاد:

ذهب اللغويون القدماء في وصف الضاد إلى القول بأنّه صوت مجهورٌ رخوٌ،[1] وأمّا عن مخرجه «فمن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس».[2] ولعل هذا الوصف الذي قال به علماء العربية القدماء يمثل الصورة الصوتية للضاد المطّرد في الفصحى.

وقد عُثر في الكتب العربية على صور نطقية تخالف المطّرد، إذ تذكر المصادر العربية جملة التغيرات الصوتية التي لحقت "الضاد"، ومنها إبداله "زايًا"، تقول العرب: «رَجُلٌ زَمِنٌ وَضَمِنٌ، وَزَمِينٌ وَضَمِينٌ بِمَعنى وَاحدٍ، وَقَد زَمِنَ يَزْمَنُ زَمَانَةً، وَضَمِنَ يَضْمَنُ ضَمَانَةً».[3] ومنه أيضا قولهم: «الزِّنَاطُ وَالضِّنَاطُ: الزِّحَامُ؛ يقال: تَزَانَطَ القَوْمُ وَتَضَانَطُوا إِذَا تَزَاحَمُوا».[4]

---

[1] ينظر: سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، (د. س)، 434/4.

[2] مر. ن، 433/4.

[3] أبو الطيب اللغوي: الإبدال، تح: عز الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، (د. ط)، 1961، 134/2.

[4] مر. ن، 136/2.

وأمّا بالنسبة لأخوات العربية الساميّات، فإنّ تحوّل الضاد زايًا كان مطلقًا في كل من اللغة الكنعانية والعبرية والآرامية بالإضافة إلى اللغة الأكادية.[1] ما يعني أنّ هذا التحول سامي قديم، وبالتالي تكون تلك الأمثلة التي احتفظت بها العربية وقد أبدل الضاد فيها زايًا من الركام اللغوي.

إلى جانب "الزاي" فقد وُجِد أنّ "الضاد" أبدلت في بعض الكلمات العربية "صادًا". يقال: «مَصْمَصَ إِنَاءَهُ بِالماءِ وَمَضْمَضَهُ: إِذَا غَسَلَهُ».[2] ومن ذلك أيضا قول بعض العرب: «انْقَاصَتْ سِنُّهُ وَانْقَاضَتْ: إِذَا انْشَقَّتْ».[3] وهذا الإبدال بين الصوتين سامي قديم؛ إذ تخلصت معظم اللغات السامية من "الضاد" مبدلة إيّاه "صادًا". تقول آمنة صالح الزعبي: «إنّ أغلب اللغات الساميّة قد تخلصت من هذا الصوت، فلم يعد موجودًا ألبتة ضمن مكوناتها الصوتية، كما حدث في أغلب لهجات اللغة الكنعانية والمجموعة الغربية الشمالية».[4] ففي العبرية (sarak) جاءت بالصاد ويقابلها في الاستعمال العربي "ضَرَكَ" بمعنى: احتاج، (nasah) بمعنى: "نضح" جاءت بالصاد.[5] ومن ثمّ فإنّ امتداد هذا النطق في بعض الكلمات العربية يمكن تفسيره على أنّه مظهر من مظاهر الركام اللغوي في الفصحى.

2.1. تطور صوت القاف:

القاف عند القدماء صوت مجهورٌ شديدٌ،[6] وقد حدّد سيبويه (ت180هـ) مخرجه قائلًا: «من أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف».[7] ولعل ذلك الوصف لمخرج "القاف" عند سيبويه هو ما كان مطّردًا على لسان أكثر العرب، غير أنّ الناظر في المؤلفات اللغوية يلحظ أنّ بعض

---

[1] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، (د. ط)، 2005، ص: 104.

[2] أبو الطيب اللغوي: الإبدال، 240/2.

[3] مر. ن، 243/2.

[4] التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 98.

[5] ينظر: مر. ن، ص: 100.

[6] ينظر: سيبويه: الكتاب، 434/4.

[7] مر. ن، 433/4.

العرب انحرفت بصوت القاف عن نطقه الشائع، فأبدل في بعض اللهجات القديمة "همزة"، من مثل: القشب والأشب.[1] وذكر فوزي الشايب أنّ «هذا النوع من التّطور في القاف، قديم في اللغات الساميّة».[2]

وأبدل "كافًا"، في لهجة تميم؛[3] حيث ثبت عن التميميين في أثناء نطقهم للقاف أنّهم يلحقونها باللهاة حتى تغلظ جدًا، فيقولون: "القوم" فيكون بين الكاف والقاف.[4]

والجدير بالذكر أنّ هذا النوع من التطور موجود في الساميّة القديمة لاسيما العبرية القديمة والسريانية.[5] ومن ثم فإنّ هذين الانحرافين –انحراف القاف إلى همزة وكاف– يعدَّان شذوذًا في نطق القاف عند القدماء، وهما مظهر من مظاهر الركام اللغوي باصطلاح المحدثين. وبما أنّ هذه الصور الصوتية للقاف لها تجليات في اللهجات الحديثة فسنأتي إلى التفصيل فيها في الفصل الثاني.

3.1. ظاهرة التلتلة:

تنسب التلتلة إلى بهراء وهي كسر حروف المضارعة. يقول ابن جني (ت392هـ): «أمّا تلتلة بهراء، فإنّها تقول: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون، بكسر أوائل الحروف»،[6] وتعدّ ظاهرةً شاذةً في الفصحى قياسًا بالمطّرد فيها، وهو فتح أوائل حروف المضارعة إذا كان على وزن: "يَفْعَلُ"، وقد تبيَّن أنّ هذه الظاهرة –ظاهرة كسر حرف المضارعة– ساميّة قديمة، توجد في العبرية والسريانية والحبشية. والفتح في أحرف المضارعة حادث –في رأي عبد التواب– في العربية القديمة؛ بدليل عدم وجوده في اللغات الساميّة الأخرى، وبدليل ما تبقى من كسر في كثير من اللهجات العربية القديمة، وكذا اللهجات

[1] ينظر: فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2004، ص: 55.
[2] مر. ن، ص: 54.
[3] ينظر: مر. ن، ص: 55.
[4] ينظر: ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص: 36.
[5] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 65.
[6] ابن جني: الخصائص، 11/2.

الحديثة.[1] وقد بقيت بعض آثار هذه اللهجة القديمة موجودةً؛ إذ نجد كسر أحرف المضارعة في العربية الفصحى نفسها كما في "إخال" بمعنى "أظن".[2] ما يجعل ظاهرة التلتلة من صور الركام اللغوي التي احتفظت بها الفصحى من مراحل تطوّرية سابقة في تاريخها.

4.1. ظاهرة العنعنة:

وهي من الظواهر اللهجية القديمة، ذكرها "ابن فارس" تحت "باب اللغات المذمومة" يقول: «أمّا العنعنة التي تذكر عن تميم فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينًا، يقولون: "سمعت عنّ فلانًا قال كذا" يريدون "أنّ". وروي في حديث قيلة: "تَحْسب عَنّي نائِمةٌ" قال أبو عبيد: أرادت تحسب أنّي، وهذه لغة تميم».[3]

ونسبها "السيوطي" لقبيلتي تميم وقيس البدويتين يقول: «وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم؛ تجعل الهمزة المبدوء بها عينًا، فيقولون في أنّك: عنّك، وفي أسلم: عسلم، وفي أذن: عذن».[4]

وهي في الجمهرة: «العنعنة: حكاية كلام، نحو قولهم: عنعنة تميم أنّهم يجعلون الهمزة عينًا».[5]

يرى بعض اللغويين أنّ العنعنة محصورة في همزة "أنّ" وأمّا باقي الهمزات فلا تبدل عينًا، يقول ياسر الزيدي: «المشهور أنّ العنعنة تحدث في "أنّ"».[6] وذهب "السيوطي" إلى أنّها مقصورة على الهمزة المبدوء بها مقدمًا أمثلة على ذلك بكلمتي "أذن"، و"أسلم". وعلى الرغم من كثرة هذه الظاهرة اللغوية، واطّرادها في بابها على ألسنة أهل تميم، إلّا أنّها تبقى شاذةً قياسًا بالمطّرد في لغة أكثر القبائل العربية.

---

[1] ينظر: رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص: 267.

[2] ينظر: مر. ن، ص. ن.

[3] الصاحبي في فقه اللغة، ص: 35.

[4] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 221.222/1.

[5] ابن دريد: جمهرة اللغة، (د. تح)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، ط1، (د. س)، 181/1.

[6] فقه اللغة العربية، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص: 228.

غير أنّ ما توصلت إليه الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة تثبت أنّ إمكانية حدوث تعاقب بين العين والهمزة ليس وقفًا على العربية، بل وَجَد له اللغويون حضورًا في أخواتها الساميّات كالكنعانية، والعبرية، وهو كثير في الإثيوبية التي حافظت على هذين الصوتين في نظامها الصوتي، وإن بدأ التغير يسير في الطريق الذي سارت فيه اللغات الأخرى، ويقلّ هذا التعاقب في اللغة السريانية.[1]

إنّ وجود أمثلة أبدلت فيها الهمزة عينًا في اللغات الساميّة السابقة يزيد من احتمالية أن تكون ظاهرة العنعنة التي احتفظت بها بعض القبائل العربية، وعلى رأسها قبيلة تميم هي بقايا من الساميّة الأولى؛ أي ركامًا لغويًّا في الفصحى.

2. مظاهر الركام اللغوي في المستوى الصرفي:

إنّ النظام الصّرفي في كل لغة حية لا يثبت على حال واحدة،[2] وإنّما كغيره من جوانب اللغة تلحقه تغيرات كثيرة، فتظهر صيغ وتتغير أخرى من حيث بناؤها، وقد يكتب الزوال للبعض الآخر.

والثابت أنّ «التطور الصرفي يندر أن يشمل جميع الحالات التي يؤثر فيها؛ فهو يدع إلى جانب الصّيغ الجديدة التي يستحدثها عددًا كبيرًا من الصّيغ القديمة التي تستمر في الاستعمال، وهكذا تترك كل حلقة من حلقات التطوّر الصّرفي بقايا لها».[3] تلك البقايا —بقايا الظواهر الصرفية– هي ما يصطلح عليه بالركام في المستوى الصرفي.

ومن جملة الظواهر الصرفية التي تمثل ركامًا لغويًّا في العربية الفصحى نذكر:

[1] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 23.

[2] ينظر: جوزيف فندريس: اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2014، ص: 203.

[3] مر. ن، ص: 204.

1.2. تصحيح حرف العلة مع وجود موجب الإعلال:

المطّرد في العربية أن يقلب حرف العلة ألفًا إذا تحرك وانفتح ما قبله، من مثل: قَال، مَال، طَال. بيد أنّ العرب «قد أخرجت من هذا الباب أحرفًا على التّمام بإظهار الواو نحو: حَوِرَ يَحْوَرُ حَوَرًا فهو أَحْوَرُ، وصَوِرَ يَصْوَرُ صَوَرا فهو أَصْوَرُ، وجمعه: صُورٌ».[1] وبإظهار الياء نحو قولهم: «خَيِفَ، وبَيِعَ»،[2] ويعدّ هذا من الشاذ الذي بقي فيه حرف العلة صحيحًا، بالرغم من وجود موجب للإعلال. وله في العربية أمثلة محفوظة في ثلاثة أبنية هي: "فَعِلَ" مثل: عَوِرَ، وصَيِدَ"، و"استفعل" مثل: اسْتَحْوَذَ، واسْتَنْوَقَ، واسْتَتْيَسَت، وجمع التكسير نحو: خَوَنَةٌ.

علّل القدامى هذا الشذوذ من وجوه:

فأمّا "عَوِرَ": فقد جاء في "التكملة" لأبي علي الفارسي قوله: «وأمّا عَوِرَ يَعْوَرُ، وحَوِلَ يَحْولُ، وصيَدَ يَصْيَدُ، فإنَّمَا صَحَّتِ العينُ لأنَّهُ في معنى ما يَلْزَمُ فيه التَّصحيحُ لسكون ما قبلَهُ وما بعدَهُ، وهو اعْوارَّ».[3]

ويذكر "ابن جني" علة مجيء هذه الأفعال مُصحّحة فيقول: «"عَوِرَ" في معنى "اعورّ"، فلما كان "اعورّ" لابد له من الصحة؛ لسكون ما قبل الواو صحّت العين في "عوِر، وحوِل" ونحوهما؛ لأنّها قد صحّت فيما هو بمعناهما، فجُعلت صحة العين في "فَعِل" أمارة؛ لأنّه في معنى "افعَلّ"».[4]

وأمّا "استحوذ" وما ناظرها: فيرى "النّحاس" أنّ "اسْتَحْوَذَ" في قوله تعالى: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخاسِرُونَ**﴾ [المجادلة/19]. ممّا جاء على أصله، ولو جاء على الإعلال لكان استحاذ، كما يقال: استصاب

---

[1] ينظر: المؤدب: دقائق التصريف، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 2004، ص: 255.

[2] سيبويه: الكتاب، 342/4.

[3] التكملة، تح: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1999، ص: 587.

[4] المنصف، تح: إبراهيم مصطفى، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، مصر، ط1، 1954، ص: 259.

فلان رأي فلان ولا يقال: استصوب.[1] قائلًا: «إنّما جاء على أصله ممّا يؤخذ سماعًا من العرب، لا ممّا يقاس عليه، وقيل: يعلّ الرباعي إتباعًا للثلاثي، فلمّا كان يقال: استحوذ عليه إذا غلبه ولا يقال حاذ في هذا المعنى، وإنّما يقال: حاذ الإبل إذا جمعه فلمّا لم يكن له ثلاثيّ جاء على أصله».[2]

وأمّا جمع التكسير: نحو: خَوَنَةٌ: فإنّ ما جاء من جمع التكسير مصحّحًا دون إعلال في رأي القدماء إنّما جاء منبهة على الأصل، يقول "ابن يعيش" (ت643هـ): «وقد شذّت ألفاظٌ خرجت مَنْبَهةً ودليلًا على الباب، وذلك نحو: "القَوَد"، و"الأَوَد"، و"الخَوَنَة"، و"الحَوَكَة"، كأنّهم حين أرادوا إخراج شيء من ذلك مصحَّحًا ليكون كالإمارة والتنبيه على الأصل».[3]

وإذا كان القدامى يعدّون هذه الأمثلة من قبيل الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه، ولا يتعدى بعضهم تفسيره على أنّه جاء منبهة على أصل متروك، فإنّ من المحدثين من يعدّ هاته الأمثلة مظهرًا من مظاهر الركام اللغوي، الذي احتفظت به العربية من مراحل تطوّرية سابقة، تصلها بأخواتها الساميّات. وإلى ذلك يذهب الأستاذ "رمضان عبد التواب"؛ إذ يذكر أنّ الأفعال المعتلة –الأجوف والناقص– مرت بأربع مراحل.[4] أولى هذه المراحل، مرحلة التّصحيح: التي كان فيها الأجوف والناقص مصحّحين. فقال: "قَوَلَ"، وباع: "بَيَعَ"، ورمي: "رَمَيَ"، ودعا: "دَعَوَ".

هذه المرحلة حفظتها العربية في بعض المفردات من قبيل: عَوِرَ، وحَوِرَ، وَهَيفَ، وَغَيدَ، واسْتَحْوَذَ... كما لا تزال محفوظة في الأثيوبية في بعض الأفعال الجوف والناقصة.[5] ويصرّح عبد التواب أنّ «هذه

[1] ينظر: إعراب القرآن، تع: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (د. س)، 254/4.

[2] مر. ن، ص. ن.

[3] شرح المفصل، تق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 364/5.

[4] ينظر: بحوث ومقالات في اللغة، ص: 59.

[5] ينظر: فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 440.441.

البقايا الصرفية في النظام القديم، تبدو في صورة الشواذ في داخل النظام الجديد، نؤثر أن نسميها "بالركام اللغوي" للظواهر المندثرة في اللغة».[1]

وبالتالي فإنّ وجود هذه الأمثلة القليلة من الأفعال التي جاءت مُصَحّحة مع وجود موجب للإعلال هي من قبيل الركام اللغوي؛ أي أنّها بقايا مرحلة سابقة يوم كانت اللغة مصحّحة لا تعرف الإعلال.

3. مظاهر الركام اللغوي في المستوى التركيبي:

يقصد بالركام في هذا المستوى بقايا الظواهر التركيبية القديمة في اللغة؛ حيث احتفظت العربية بهذه الأمثلة بمرور الأزمان، ويرجّح أن تكون الأصل الأول الذي كانت عليه اللغة في بداياتها. ومن جملة هذه البقايا نذكر:

1.3. إلزام المثنى الألف والنون في كل الحالات الإعرابية:

من الأصول الثابتة والمعروفة في اللغة العربية أنّ المثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء، وعلى هذا النحو جاءت أغلب الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية.

غير أنّ من العرب من يُلزم المثنى الألف في جميع الحالات الإعرابية، وعلى هذا فهو من الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه. من شواهده قول الشاعر:[2] [بحر الرجز]

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا * قَد بَلَغَا فِي المَجْدِ غَايتَاهَا.**

وقد نسبت هذه اللهجة إلى بني حارث بن كعب وبني الهجَيْم وبني العنبر، يقول ابن مالك (ت672هـ): «لغة بني حارث بن كعب إلزام المثنى وما جرى مجراه الألف في كل حال. وبهذه اللغة

[1] التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1997، ص: 17.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص: 238.

قرأ نافع وابن عامر والكوفيون إلّا حفصًا، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾ [طه/63]. ووافق في ذلك الحارثيين بنو الهجَيْم وبنو العنبر».[1]

وسبق "ابن مالك" الفراء (ت207هـ) في نسب الآية السابقة إلى لغة بني حارث بن كعب الذين يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف. وذكر أنّ رجلا من الأسد عنهم يريد بني الحارث أنشده:[2] [بحر الطويل]

فأَطرق إطرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَو يَرَى * مَسَاغًا لِنابَاه الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا.**

يقول: وما رأيت أفصح من هذا الأسدي.[3] وهو الرأي ذاته الذي قال به ابن هشام (ت218هـ) إذ يقول: «جاءت على لغة بلحارث بن كعب في إجراء المثنى بالألف دائمًا».[4]

وأمّا المحدثون ففسروا لهجة بلحارث بن كعب على أنّها الحالة الأولى التي كانت عليها اللغة قبل التطور؛ ذلك أنّه من المستبعد «أن تكون اللغة العربية قد وجدت وفيها تلك الظواهر الفنية، أو أن تكون قد عُرفت أول ما عُرفت وهي متميزة بضوابط الإعراب المختلفة».[5] يقول "حسن عون" في هذا السياق: «بعض هذه الظواهر كان أسبق من بعضها الآخر، وبعضها قد تطوّر من حالة إلى أخرى بينما التزم البعض الآخر نفس الحالة التي عُرف بها منذ القدم».[6] وعليه فإنّ إلزام المثنى الألف في جميع الحالات الإعرابية هو المرحلة الأولى لإعراب المثنى قبل أن تنضج العربية وتستقر على ما هي عليه، وما بقي في العربية هي ممّا اصطلح عليه المحدثون "بالركام اللغوي".

---

[1] شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، الجيزة، مصر، ط1، 1990، 62.63/1.

[2] ابن فارس: مقاييس اللغة، 451/3.

[3] ينظر: الفراء: معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1955، 184/1.

[4] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د. ط)، (د. س)، 37/1.

[5] حسن عون: اللغة والنحو، ص: 81.

[6] مر. ن، ص: 81.

2.3. إعراب جمع المذكر السالم بالحركات:

المطّرد في النحو أنّ جمع المذكر السالم –كما المثنى وما ألحق بهما– يعرب بالحروف بدل الحركات، بيد أنّه قد وُجدت بعض الشواهد في اللغة خالفت هذا الأصل؛ حيث جاء فيها جمع المذكر السالم معربًا بالحركات مع وجود الحروف، وقيل إنّها لهجة نُسبت لبعض من بني تميم وبني عامر؛ إذ كانوا يلزمون الياء للجمع، ويبقون على الإعراب بالحركات مع وجود الحروف.[1] وقد جاء على هذه اللهجة قول جرير في هجاء الفرزدق:[2] [بحر الوافر]

أَرَى مَرَّ السِّنِينِ أَخَذْنَ مِنِي * كَمَا أَخَذَ السِّرَار مِنَ الهلاَلِ.**

القياس أن يقال: "السنينَ"؛ لأنّه ملحق بجمع المذكر السالم، ولكنه جرّ بالكسرة، مع الحروف.

وقد أكّد غير واحدٍ من اللغويين على أنّ «حالة الإعراب بواسطة الحركات من رفعٍ ونصبٍ وجرٍ قد سبقت حالة الإعراب بالحروف من ألف وواو وياء ونون؛ وليس أدّل على ذلك من الإبقاء على الإعراب بتلك الحركات مع وجود هذه الحروف، وذلك في بعض اللهجات كأن يقال مثلًا: جاء الزيدانُ، رأيت الزيدانَ، ومررت بالزيدانِ، برفع النون في الأول، ونصبها في الثاني، وجرها في الثالث».[3]

واستدل "حسن عون" على صحة النظرية القائلة أنّ الإعراب بالحركات وُجد قبل أن يوجد الإعراب بالحروف بما يأتي:[4]

أولًا: البسيط يسبق المركب، والإعراب بالحركات بمثابة البسيط، والإعراب بالحروف بمثابة المركب.

---

[1] ينظر: حسن عون: اللغة والنحو، ص: 82.83.

[2] ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1981، 188/2.

[3] حسن عون: اللغة والنحو، ص: 82.

[4] ينظر: مر. ن، ص: 83.84.

ثانيًا: الإعراب بالحروف وُجد في ألفاظ لا يمكن أن تكون قد وجدت واللغة في حالتها الأولى، فالمثنى والجمع وجدا حتمًا بعد الألفاظ المفردة، ووجودهما يدلّ على تطوّر اللغة، وتبعًا لذلك فإنّ علامات إعرابهما قد وجدت بعد علامات إعراب المفردات.

ثالثًا: ما جاء في بعض اللهجات من شواهد وأمثلة فيها علامات الإعراب بالحركات مع وجود الحروف. دليلٌ على أنّ الإعراب بالحركات أسبق.

رابعًا: النسبية فيما نجده في اللغة معربًا بالحروف بجانب ما هو معرب بالحركات، فقد جمع النحاة ما هو معرب بالحروف فيما يأتي: الأفعال الخمسة، والأسماء الستة، ثم المثنى، والجمع للمذكر السالم، وما ألحق بهما. وعليه فإنّ «هذه الحروف في تلك الأنواع التي تعرب بها ليست إلّا نيابة عن حركات الإعراب».[1]

ومن خلال تتبع الأمثلة والشواهد التي نابت فيها هذه الحروف- حروف الإعراب- عن الحركات الإعرابية تبيّن أنّ الأولى لم توجد مرة واحدة وفي هذا الشأن يقول "حسن عون": «نرجح أنّ الإعراب بهذه الحروف من واو ونون، ومن ياء ونون، ومن ألف ونون لم يوجد كذلك مرة واحدة، ولم تلتزم طرق الأداء به من أول الأمر بهذه الصورة التي نراها الآن، وإنّما وُجد الحرف الأول وهو الألف أو الواو أو الياء، وسارت اللغة على ذلك مدّة من الزمن، ثم التزمت النون بعد ذلك».[2] ويمكن الاستدلال على هذا في لغة العرب. بقول الشاعر:[3] [بحر الطويل]

خَلِيلَيَّ مَا إِنْ أَنْتُمَا الصَّادِقَا هَوًى * إِذَا خِفْتُمَا فِيهِ عَذُولًا وَوَاشِيَا.**

[1] حسن عون: اللغة والنحو، ص: 84.

[2] مر. ن، ص: 85.

[3] السيوطي: همع الهوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 188/1.

بحذف النون في "الصادقان". ومن ذلك أيضا قول الشاعر:[1] [بحر الطويل]

هُمَا خُطَّتَا إمَّا إسَارٍ وَمنَّةٍ * وإمَّا دَم وَالقَتْل بِالحُرِّ أَجدَر.**

وقد استشهد به النحاة على أنّ النون في "خطتان" قد حذفت للإضافة المقدرة، وراحوا يتأولون هذا المضاف المحذوف. ورأى فريق منهم أنّ المضاف إليه هو "إسار"، وقد فصل بين المضاف والمضاف إليه بـ "إمّا"، محاولين أن يوجدوا لها تخريجًا أو تعليلًا كدأبهم في كل ما يتنافى مع قواعدهم أو يشذّ عنها.[2]

وأشار البغدادي (ت463هـ) إلى أنّ هذا البيت وأمثاله قد جاء بلغة من يحذف نون التثنية من القبائل دون أن يكون هناك ما يستدعي حذفها كالإضافة.[3] «ولم يشيروا مطلقًا إلى احتمال أن تكون هذه هي الحالة الأولى لطريقة الأداء في التعبير بالمثنى أو الجمع».[4] والأمثلة السابقة ممّا يمكن عدّه عند المحدثين ركامًا لغويًا لمراحل اللغة القديمة.

3.3. إعراب جمع المؤنث السالم بالفتحة:

المطّرد في إعراب جمع المؤنث السالم أن ينصب بالكسرة نيابة عن الفتحة، وهذا هو المتفق عليه بين النحاة. غير أنّه قد وردت بعض الأمثلة التي خالفت هذا الأصل. وجاء فيها جمع المؤنث السالم منصوبًا بالفتحة. ومن ذلك هذا البيت الشعري لسلامة بن جندل:[5] [بحر البسيط]

إنَّ الشَّبَابَ الّذِي مَجْدُ عَوَاقِبِهِ * فِيهِ نَلَذُّ، وَلَا لذَّاتَ لِلشِيبِ.**

والشاهد قوله: لذَّاتَ بالفتحة بدل الكسرة.

---

[1] ابن جني: الخصائص، 407/2.

[2] ينظر: حسن عون: اللغة والنحو، ص: 85.86.

[3] ينظر: مر. ن، ص: 86.

[4] مر. ن، ص. ن.

[5] البغدادي: خزانة الأدب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1988، 27/4.

ومن شواهد مجيء جمع المؤنث السالم منصوبًا بالفتح ما تناقلته كتب اللغة والنحو عن مجلس أبي عمرو مع أبي الخيرة. حيث «قال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة: كيف تقول: حفرتُ إِرَاتِك؟ {فقال: حفرتُ إراتَك}. قال: فكيف تقول: استأصل الله عِرقاتِهم أو عِرقاتَهم؟ فقال: استأصل الله عِرقاتَهم. فلم يعرفها أبو عمرو وقال: لَانَ جلدكُ يا أبا خيرة. يقول: أَخطأتَ.

قال أبو العباس: وهي لغة لم تبلغ أبا عمرو. يقال: وأَرتُ إِرةً أَئِرُها وأْرًا، إذا حفرتَ حُفْرةً تطبُخ فيها. وإراتٌ: جمع إِرَة. وقال أبو عثمان: كان أبو عمرو يرده ويراه لحنًا».[1]

ذهب "رمضان عبد التواب" إلى أنّ الأصل في جمع المؤنث السالم الفتح في حالة النصب، وهي الحالة الأولى التي كانت عليها اللغة قبل أن يمسها التطوّر، وأنّ ما بقي من أمثلة إنّما هي من قبيل الركام اللغوي لتلك المراحل التاريخية القديمة.[2] وهو الرأي ذاته الذي ذهب إليه "فوزي الشايب" قائلًا: «فمجيء الفتح في هذه المفردات دليلٌ قويٌ على أنّ الأصل في جمع المؤنث السالم المنصوب أن يحرَّك بالفتح».[3] وكباقي الظواهر اللغوية «احتفظت اللغة بألفاظ ظهر فيها الإعراب الأصلي لجمع المؤنث السالم بالفتح في حالة النصب، وهذه الألفاظ هي من الركام اللغوي الذي نلاحظه في معظم الظواهر اللغوية».[4]

4.3. نيابة حروف الجر بعضها عن بعض:

وممّا فسّره المحدثون على أنّه من الركام اللغوي في العربية نيابة حروف الجر بعضها عن بعض؛ ذلك أنّ جمهور النحويين المتقدمين من البصريين والكوفيين أعملوا مبدأ اختصاص حروف الجر بالعمل والمعنى، ومنعوا نيابة بعض الحروف عن بعض، وإن كان ذلك ممّا أجازه بعض المتأخرين. ومع ذلك

---

[1] الزجاجي: مجالس العلماء، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1999، ص: 6. ينظر: ابن جني: الخصائص، 384/1.

[2] ينظر: بحوث ومقالات في اللغة، ص: 73.

[3] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 389.

[4] مر. ن، ص: 388.

وردت شواهد لغوية عديدة –لاسيما في القرآن الكريم– نابت فيها حروف الجر بعضها عن بعض، ومن ذلك:[1]

- وقوع "عن" مكان "من" في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾ [الشورى/ 25]، أي: من عباده.
- ووقوع "على" مكان "عند" كما في قول الله: ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ**﴾ [الشعراء/14]، أي: عندي.
- ووقوع "الباء" مكان "اللام" كما في قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ**﴾ [الدخان/39] أي: للحق.

يرى "إبراهيم السامرائي" أنّ هذه الظاهرة اللغوية –نيابة حروف الجر بعضها عن بعض– تشير إلى أنّ العربية في عصر القرآن ما زالت تحتفظ بمظاهر لغوية تشير إلى المراحل القديمة من عمرها. تلك المراحل التي كان منها عدم استقرار استعمال هذه الأدوات. ثم إنّها أخذت طريقها نحو التوحد والانسجام إلى ما يشبه الاستعمالات الثابتة. وممّا لا شك فيه أنّ الاستعمال الذي كتبت له السيرورة والشيوع يصبح علامة بارزة مميزة، غير أنّه لابد أن يتخلف شيء منه يعرض للمعربين وهو بقايا المراحل التاريخية.[2]

ونيابة حروف الجر بعضها عن بعض –حسبه– هي المرحلة السابقة قبل أن تنضج اللغة وتستقر على استعمالات ثابتة؛ فالاستعمالات التي وردت مخالفة للمطّرد ليست إلّا بقايا لاستعمالات هذه الأدوات قبل أن تأخذ العربية طريقها إلى أن تكون لغة قواعد ثابتة.[3]

[1] ينظر: إبراهيم السامرائي: مقدمة في تاريخ العربية، ص: 18.19.
[2] ينظر: مر. ن، ص: 19.
[3] ينظر: مر. ن، ص: 20.

وعليه فإنّ نيابة حروف الجر بعضها عن بعض في الآيات السابقة هي ركام لغوي لمرحلة تاريخية أوشكت أن تزول؛ وذلك لأنّ استعمال هذه الأدوات قد استقر على نحو معروف شاع في استعمال المعربين كما شاع في لغة التنزيل.

وممّا يمكن أن نلخص إليه إجمالًا ما يلي:

1. اللغة بمختلف عناصرها تتطوّر وتتغير بمرور الزّمن؛ ذلك أنّها ظاهرة اجتماعية تخضع لما يخضع له المجتمع.
2. إجماع اللغويين المحدثين على فكرة تطور النظام اللغوي، وإن اختلفوا في تسمياتهم لما اصطلحنا عليه بالركام اللغوي، فتارة نجده البقايا اللغوية وتارة المخلفات وأخرى المتحجرات، وجميعها تحمل الدّلالة ذاتها.
3. إنّ بعض ما جاء شاذًّا عند القدماء فسّره المحدثون على أنّه من قبيل الركام اللغوي.
4. الظواهر اللغوية القديمة لا تقضي على نظيرتها الجديدة قضاء كليًّا، بل تبقى بعض أمثلتها شاهدًا على الحالة الأولى التي كانت عليها اللغة.
5. ظاهرة الركام في اللغة العربية نتاج جملة أسباب أبرزها التطوّر اللغوي الذي يلحق الأنظمة اللغوية جميعها، وتتجلى صوره في الفروق اللهجية بين القبائل العربية شمالًا وجنوبًا، بدوًا وحضرًا.
6. إنّ ما عُرف في كتب اللغة بالظواهر اللهجية من نحو: العنعنة والتلتلة، وما كثر وروده في مصنفات النحو من: إلزام المثنى الألف في جميع الحالات الإعرابية، وما جاء مصحّحًا مع وجود موجب للإعلال، إنّما هو من قبيل الركام اللغوي للظواهر المندثرة في العربية.

الفصل الثاني:

تجليّات الرّكام اللّغوي في اللّهجات الجزائريّة

تمهيد:

إنّ اتصال اللغة بلهجاتها من الأمور المسلم بها في الدراسات اللغوية، واللهجات الجزائرية –كبقية اللهجات العربية الحديثة– تسير في أغلب أحوالها وفق قواعد الفصحى في المستويات الصوتية والصرفية، وحتى التركيبية.

تتباين آراء اللّغويين المحدثين حول علاقة اللهجات الحديثة بالفصحى؛ إذ نجد من المحدثين من يعد اللهجات العربية المعاصرة انحطاطًا من الفصحى، ولعلهم ذهبوا إلى هذا القول بسبب وجود طريقة في الأداء في اللهجات الحديثة تختلف في كثير من الأحيان عن قواعد الفصحى المتعارف عليها؛ فقد تخالف اللهجة ما اطّرد في الفصحى وتتوافق مع بعض الظواهر الشاذة في العربية.

سبق الحديث في الفصل الأول عن "ظاهرة الركام اللغوي"، التي تفسر بعض الشاذ في العربية، أين وجدنا أنّ كثيرًا من الأمثلة التي خالفت المطّرد في الفصحى هي بتفسير المحدثين بقايا مراحل قديمة في اللغة.

واللهجة الجزائرية كغيرها من لهجات العربية تتخذ أداءات لغوية متعددة قد تعدّ من الشاذ في الفصحى سواء في الأصوات أو في صيغ الكلمات وصولًا إلى التراكيب، وسنحاول في الفصل التالي الوقوف على تجليات هذه الظاهرة –الركام اللغوي– في مختلف اللهجات الجزائرية.

أولًا: تاريخ اللغة العربية في الجزائر.

1. رحلة العربية إلى المغرب العربي، والجزائر:

يعدّ الأمازيغ السكان الأصليين لبلاد المغرب وهم «جنسٌ مستقلٌ في أصله يرجع إلى مازيغ بن كنعان بن حام، انتقل من الشام إلى إفريقيا في أزمان قديمة جدًّا، فصحّ أن ينسب هذا الوطن لهم».[1]

تعاقبت على بلاد المغرب حضارات كثيرة، منها: الحضارة الموستيرية، والحضارة العاترية، والحضارة الايبيرومغربية، والحضارة القفصية،[2] والحضارة الوهرانية،[3] وتوالت الحضارات في البلاد، وصولًا للفتوحات الإسلامية التي بدأت عام (21هـ)، على يد عمرو بن العاص الذي أرسل جيشًا للمنطقة بقيادة "عقبة بن نافع".[4]

قدِمت العربية إلى بلاد المغرب مع جيوش الفتح الإسلامي، فوجدت بها لغات متعددة تبعًا لتعدّد الأجناس؛ فالأمازيغ وهم السكان الأصليون كانوا يتكلمون الأمازيغية، والأفارقة كانوا يتحدثون لغةً مزيجًا من اللاتينية والأمازيغية، وأمّا الفرنجة من الحكام وأتباعهم من الرّوم كانوا يتواصلون فيما بينهم باللاتينية، في حين أنّ الفينيقيين الذين هاجروا إلى الشمال الإفريقي كانت لغتهم هي الفينيقية. فدخلت العربية في صراع مع هذه اللغات جميعًا، وكان أمر الصراع هيّنًا بالنسبة لما عدا اللغة الأمازيغية.[5]

---

[1] مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزائر، (د. ط)، (د. س)، 90/1.

[2] ينظر: محمد الصغير غانم: مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د .ط)، 2003، ص: 18.

[3] ينظر: محمد بيومى مهران: المغرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، (د. ط)، 1990، ص: 17.

[4] ينظر: أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س)، ص: 241.

[5] ينظر: مر. ن، ص: 263.264.

1.1. عوامل الصراع اللغوي:

حكم الصراعَ بين اللغتين العربيةِ الوافدةِ من المشرق العربي والأمازيغية لغة البلاد الأصلية عدّةُ عوامل منها:[1]

أ. **العامل الديني:** لم يكن في المغرب ضغط مباشر على غير المسلمين ليعتنقوا الإسلام، كما كانت هناك امتيازات معيّنة يتمتع بها المسلمون باعتبارهم الطبقة الحاكمة. وقد أغرى هذا وذاك مجموعة من المواطنين باعتناق الإسلام لينعموا بالمساواة. ولعامل الإسلام من الناحية اللغوية أهمية قصوى في أي بلد من البلاد التي فتحها المسلمون؛ إذ إنّ تقدم العربية وانتشارها مرتبط بتقدم الإسلام وانتشاره.

ب. **عامل الهيبة أو التفوق الذاتي للغة:** فالعربية كانت ذات تاريخ وأدب وثقافة قبل الإسلام، ثم انتشرت في كثيرٍ من أنحاء العالم بعد مجيئه، ممّا أعطاها ميزة ضخمة وقيمة كبيرة، وازداد هذا العامل قوة بمرور الزّمن؛ فما أن جاءت العربية إلى معركتها الحاسمة مع الأمازيغية حتى كانت قد أصبحت لغة ثقافة عالية.

ج. **العاملان السياسي والاقتصادي:** عملا في صفّ اللغة العربية، فممّا لا شك أنّ القوة كانت بأيدي العرب الذين بذلوا أقصى وسعهم لتعريب البلاد ونشر الإسلام؛ حيث أدّت هذه العمليات إلى نتائج اقتصادية هامة كان لها أثرها في دعم العربية ورفع شأنها في المغرب.

د. **درجة قرابة أو بعد اللغتين المتصارعتين:** هناك آراء تضع اللغتين العربية الأمازيغية في مجموعة واحدة سواء أطلق عليها المجموعة الساميّة أو الساميّة الحاميّة أو الآفروآسيوية، ما يعني أنّ العلاقة بين اللغتين موجودة ولا يمكن إنكارها؛ حيث ساعد هذا التقارب على تغلب العربية.

[1] ينظر: أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، ص: 265 وما بعدها.

2.1. مراحل الصراع اللغوي بين اللغتين العربية والأمازيغية:

مرّ الصراع بين العربية والأمازيغية بثلاث مراحل أساسية، تتمثل فيما يلي:

أ. مرحلة التعادل بين اللغتين:

وهي أولى مراحل الصّراع بين العربية والأمازيغية، امتدّت منذ بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الأول الهجري.[1] وتميزت «بوجود ازدواجية في اللغة ومحاولة كل طرف من طرفي الصّراع التغلب على مشكلة التفاهم عن طريق تعلم لغة الطرف الآخر».[2]

وانتهت هذه المرحلة دون غلبة إحداهما على الأخرى، بل كانت فترة تعايشت فيها اللغتان جنبًا إلى جنبٍ. يقول أحمد مختار عمر: «وتنتهي هذه الفترة بتثبيت دعائم الإسلام، ولكن دون أن يتم تثبيت دعائم اللغة العربية، وذلك نظرًا لتضارب العوامل الفعّالة في هذا القرن، ولنشأة بعضها قرب نهايته ممّا لم يسمح بفعاليته أو ظهور أثره ولهذا اعتبرناه قرن ازدواج لغوي تعايشت فيه اللغتان جنبًا إلى جنبٍ دون أن تقوى إحداهما على قهر الأخرى أو زحزحتها من مكانها».[3]

ب.مرحلة اختلال ميزان القوى في صالح اللغة العربية:

وامتدّت من القرن الثاني إلى القرن الرابع من الهجرة،[4] برزت خلالها عوامل جعلت ميزان القوى يميل لصالح العربية، ومن بين العوامل المساعدة نجد ما يلي:

- التعريب المبكر لقسم من الأمازيغ؛ إذ لا شك أنّ التعامل بالعربية مع مراكز الحكم جعل بعض الأمازيغ يقبلون على تعلم العربية.[5]

---

[1] ينظر: أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، ص: 273.

[2] مر. ن، ص. ن.

[3] مر. ن، ص: 278.

[4] ينظر: مر. ن، ص: 279.

[5] ينظر: محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية "مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية"، وكالة المطبوعات، الكويت، (د. ط)، 1973، ص: 282.

- ازدياد عدد العرب في البلاد شيئًا فشيئًا دون أن يستطيعوا أن يصهروا العناصر الأصلية.[1]
- كانت العلاقات بين الأندلس والمغرب الأقصى تدعم مكانة العربية باعتبارها لغة التعامل المشتركة فضلًا عن كونها لغة القرآن الكريم.[2]

وفي المقابل برزت عوامل مضادّة عملت لصالح الأمازيغية، أهمها:

- قوة الشعور القومي عند الأمازيغ وإثارة العصبيات فيهم كرّد فعل لما لحقهم من ظلم وسوء معاملة على أيدي بعض الحكام الجائرين.[3]
- وجود مناطق جبلية، وقرى نائية صعب الوصول إليها وشقّ إقامة العرب فيها، ممّا أحيا العصبية البربرية وأبقى اللغة الأمازيغية فيها.[4]

ومع نهاية هذه المرحلة بدأت ملامح غلبة العربية على نظيرتها الأمازيغية تظهر.

ج. مرحلة الاستقرار:

وهي المرحلة الأخيرة التي تغلبت فيها العربية على اللغة الأصلية –الأمازيغية–؛ إذ «تشمل هذه المرحلة القرنين الخامس والسادس الهجريين، وأهم ما يميّزها الهجرتان العربيتان اللتان تمّت إحداهما في القرن الخامس الهجري والأخرى في القرن السادس الهجري. وبتمامهما تم تعريب البلاد نهائيًا وظهرت الغلبة للعنصر العربي».[5]

---

[1] إحسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، (د. س)، ص: 92.93.

[2] محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص: 282.

[3] ينظر: أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، ص: 282.283.284.

[4] ينظر: الطاهر أحمد الزاوي: ولاة طرابلس" من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي"، دار الفتح، بيروت، لبنان، ط1، 1970، ص: 26.

[5] ينظر: أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، ص: 285.

فأمّا الهجرة الأولى فكان لها الأثر الكبير في تعريب المغرب؛ حيث «كانت هجرة بني هلال وبني سليم هي العامل الحاسم في تعريب المغرب في القرن الحادي عشر الميلادي، فالفتح الإسلامي كان ذا أثر في تعريب منطقة الساحل».[1]

وأمّا الثانية فيذكر أحمد مختار عمر أنّها: «تمّت عام 550هـ على يد حميد بن جارية؛ حيث نقل إلى تاجورة مجموعة من عرب تميم سكنوا أرض "عبد رب" منذ الفتح الإسلامي، وكان نقله هؤلاء العرب بقصد إيجاد توازن بين السكان؛ لأنّ الساحل الطرابلسي كان كلّه مسكونًا بالأمازيغ قبل الفتح الإسلامي».[2]

وبانقضاء هذه المرحلة أصبحت اللغة العربية لغةً عامةً مشتركةً بين جميع سكان بلاد المغرب، ومنها الجزائر، إذ أصبحت لغة التخاطب بينهم إمّا وحدها، أو مع الأمازيغية التي بقيت في عدد من المناطق.

2. الانتقال من الفصحى إلى اللهجات العامية في الجزائر:

ليس بين أيدينا من المراجع ما يؤرخ لمراحل انتقال الفصحى إلى اللهجات العامية في الجزائر، ولا في سائر المجتمعات العربية تفصيلًا، ولكن المتفق عليه بين الدارسين المحدثين أنّ اللهجات العربية الحديثة هي انحراف عن الفصحى إلى درجة أنّ العلاقة بينهما تكاد تمحي في مظاهر لغوية عديدة.

ويمكن إجمال أسباب الانتقال إلى العامية عمومًا في الآتي:[3]

- انتشار اللغة العربية في مناطق لم تكن عربية اللسان كان له أثرٌ واضحٌ في تشكّل هذا الاختلاف—بين الفصحى والعامية- فقد تغلبت العربية على اللغات اليمنية القديمة في بلاد اليمن، وعلى اللهجات الآرامية في بلاد العراق والشام، وعلى الألسنة القبطية والأمازيغية في

[1] محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص: 280.
[2] تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، ص: 296.
[3] ينظر: علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ص: 105.106.

مصر وشمال إفريقيا. ومن المقرر أنّ اللغة الغالبة ينالها كثير من التحريف في ألسنة الناطقين بها الجدد –المغلوبين لغويًّا– تحت تأثير لهجاتهم القديمة وما درجوا عليه من عادات في النطق.

- استقلال البلاد العربية بعضها عن بعض، وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات، فمن الواضح أنّ انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام في الوحدة الفكرية واللغوية.
- اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب.
- يذكر "الرافعي" نقلًا عن "ابن خلدون" (ت 1406هـ) أنّ البعد عن اللسان العربي إنّما هو بمخالطة العُجمة، فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن اللسان الأصلي أبعد؛ لأنّ الملكة إنّما تحصل بالتعليم، وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الثانية التي للعجم، فعلى مقدار ما يسمعونه من العُجمة ويربون عليه، يبتعدون عن الملكة الأولى.[1]

مضيفًا أنّ اللهجات الحديثة قد نهجت في كل مصر من الأمصار العربية منهجًا متميّزًا؛ بل إنّها قد جرت مجرى اللغات المقتطعة من أصل واحد، كالعربية وأخواتها العبرية والسريانية.[2]

- معلوم أن معظم البلدان العربية تعرضت إلى استعمار من أحد البلدان الأوروبية، وبخاصة فرنسا وإنجلترا، وقد أدى هذا الاستعمار إلى تفشي الأمية والجهل في الأوساط الشعبية، وإلى شيوع لغة المستعمر الذي حاول أن يطمس معالم الشخصية الوطنية من لغة عربية ودين إسلامي، وأن يفرض لغته، إن بالإغراء وإن بالقوة.[3]

وإذا كانت هذه عمومًا أسباب الانتقال من الفصحى إلى العاميات، فلا شك أنّ لكل مجتمع خصوصيته التي تنعكس على لغته، ولعل أهم المؤثرات في اللهجات الجزائرية: اللغة التركية، وكذا تأثير

---

[1] ينظر: مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مر: عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، (د. ط)، (د. س)، 219/1.

[2] مر. ن، 220/1.

[3] عمر لحسن: التهجين اللغوي "أسبابه ومظاهره"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، الجزائر، (د.ع)، (د. س)، ص: 240.

لغات المحتل الغاشم في العصر الحديث، لاسيما الاستعمار الفرنسي للجزائر، والذي وإن لم يستطع أن يمحو اللغة العربية من ألسنة الجزائريين إلّا أنّه ترك أثرًا فيهم وهو تأثير طبيعي ومنطقي. ومن ثمّة فاللهجات الجزائرية الحديثة في عمومها متأثرة بلغتين رئيستين هما: التركية، والفرنسية.

ولعل هذا الامتزاج هو ما جعل بعض الدارسين المحدثين من المشارقة يتصورون اللهجات المغاربية عمومًا ببعدها الشديد عن منوال الفصحى، يقول "علي عبد الواحد وافي": «أما المغربية فهي أبعد اللهجات العامية جميعًا عن العربية الفصحى».[1] ويزعم بعضهم أنّه لا يكاد يفقه من منطقهم شيئًا.

غير أنّ هاته الزعوم لا تعدو أن تكون محض جهلٍ بطبيعة اللهجات المغاربية -عمومًا- والجزائرية خصوصًا، مع قلة الاحتكاك بأهلها.

وليس اتصال اللهجات الجزائرية بخاصة بالفصحى محط توهم؛ إذ جادت دراسات عديدة لباحثين أكفاء أثبتوا من طريق العلم الصّلة الوثقى بين اللهجات الجزائرية والعربية الفصحى في المستويات اللغوية على تعددها، واستطاعت هاته الدراسات أن تكشف عن مظاهر التحوّل التي أصابت بعض الظواهر التي هي في أصلها عربية فصيحة لتصل بها إلى المنوال اللهجي الشائع، وأصّلت لظواهر عديدة بنسبتها إلى أصول قبلية عربية وإن لم تكن شائعة في الفصحى، وكشفت عن ظواهر لغوية أخرى تعدّ من باب الشاذ في الفصحى؛ إلّا أنّ ربطها بما توصلت إليه الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة يثبت انتماءها إلى مراحل تطوّرية سابقة من تاريخ اللغة العربية يصل بها إلى أخواتها الساميّات، وهو ما يمثل بعض صور الركام اللغوي في الفصحى الذي امتدّ إلى اللهجات الحديثة؛ على نحو ما سنفصل فيه فيما يأتي من المباحث.

[1] فقه اللغة، ص: 117.

ثانيًا: مظاهر الركام اللغوي في المستوى الصوتي للهجات الجزائرية:

تشيع في اللهجات الجزائرية ظواهر صوتية كثيرة تعد شاذةً إذا ما قارناها بالمطّرد في الفصحى، وقد فسر المحدثون بعض الشاذ في العربية على أنّه من الركام اللغوي. وسنقف فيما يلي على أبرز تجليات هذه الظاهرة في المستوى الصوتي للهجات الجزائرية.

1. الصور الصوتية للهمزة في اللهجات الجزائرية وعلاقتها بالفصحى:

تتعدد الصور الصوتية للهمزة في اللهجات الجزائرية، ويمكن ذكر أهمها فيما يلي:

1.1. صوت الهمزة بين التحقيق والتسهيل:

يتخذ صوت الهمزة في الفصحى ولهجاتها القديمة صورتين صوتيتين أساسيتين هما: الهمز، والتسهيل، ويبدو أنّ هاتين الصورتين كانتا متوازيتي الانتشار قديمًا؛ إذ نسب الهمز إلى البيئة البدوية (تميم وما جاورها)، ونسب التسهيل إلى البيئة الحجازية (قريش وما جاورها)، وقد أخذت الفصحى تحقيق الهمزة من تميم.[1]

ولعل أهل البدو «تميم، تيم الرباب، غني، عكل، أسد، عقيل، قيس، بنو سلامة من أسد».[2] مالوا في كلامهم إلى استعمال الهمزة؛ «كونها أوضح في السمع، وتنسجم مع بيئتهم وطبيعتهم»،[3] ذلك أنّ «مخرج الهمزة المحققة هو من المزمار نفسه؛ إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقًا تامًا فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة»،[4] «فبينما يقول أهل الحجاز "جبريل" دون همز، نجد أهل البدو من بني تميم يقولون:

---

[1] ينظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997، ص: 223.

[2] أحمد عالم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1983، 336/1.

[3] ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، ص: 114.

[4] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، نهضة مصر، المنصورة، مصر، (د. ط)، (د. س)، ص: 77.

"جبرئيل"».[1] ويفسّر ميل قبائل الحجاز إلى التسهيل لتناسبه مع بيئتهم ولكون الهمزة صوتًا عسيرًا فعمدت هذه القبائل إلى التخلص منه.[2]

ويطّرد في اللهجات الجزائرية عامةً تسهيل الهمزة، ومن ذلك قولهم: «بُوك في: أبوك، خُوك في: أخوك، خْتك في: أختك، مُّك في: أمك».[3] وكذلك في الألقاب والكنى من مثل: «بو عبد الله، بو الفول، بو منجل، بلقاسم».[4] كما تسقط الهمزة من الضمائر، يقولون: «نَا، نْتُمْ، نْتُومْ، نْتَ، نْتِ، في "أنَا، أنتُم، أنتَ، أنتِ،..."»،[5] وفي كلمات أخرى من قبيل: «نَاس، وْلاد، بْرة، رْنب، حْمد، في أُناس، أَولاد، إِبرة، أَرنب، أَحمد»،[6] وأيضا في قولهم: «خْوَالْ، عْمَامْ، صْبَعْ، حَدْ، بْلِيسْ، ويقابلها في العربية: أخوال، أعمام، إصبع، أحد، إبليس».[7] وقولهم: «جِيتْ، مُومَنْ، بِيرْ، قْرَا،...».[8]

وبمقارنة العربية بأخواتها الساميّات تبيّن أنّ ظاهرة تحقيق الهمزة وتسهيلها لم تكن مقتصرة على العربية دون أخواتها الساميّات؛ ذلك أنّ «ما حدث للهمزة في اللهجة الحجازية العربية، حدث مثله تمامًا في اللغتين: العبرية والآرامية؛ إذ تسقط فيهما الهمزة في غير أول الكلمة في أغلب الأحيان».[9] بينما في «الحبشية فإنّ الهمزة لا تسقط فيها في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها».[10]

---

[1] ينظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 112.

[2] ينظر: رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 75.76.

[3] بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، مديرية النشر لجامعة قالمة، جامعة 8 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2008، ص: 47.

[4] مختار نويوات ومحمد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان –بسكرة–، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005، ص: 29.

[5] مر. ن، ص: 30.

[6] مر. ن، ص. ن.

[7] بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص:47.

[8] أحمد أبّا الصافي جعفري: اللهجة التواتية الجزائرية، منشورات الحضارة، الجزائر، الجزائر، ط1، 2014، ص: 23.

[9] رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 223.224.

[10] مر. ن، ص: 224.

وبالتالي فإنّ ظاهرة الهمز والتسهيل قديمة في اللغات الساميّة، والتسهيل في لغة الحجاز امتداد للنطق السامي، يوم كانت اللغة مضطربة بين التحقيق والتسهيل، ما يجعل هذه الطريقة من الأداء تفسر ضمن ما يسمى بـ "الركام في اللغة"، وما نسمعه الآن في اللهجات الجزائرية ما هو إلّا تجلي للركام اللغوي الذي احتفظت به الفصحى.

2.1. إبدال الهمزة هاءً:

يطّرد في أغلب اللهجات الجزائرية نطق الهمزة هاءً لاسيما في المواقف الانفعالية، كالنداء من مثل: ها محمد في: أ محمد.[1] وفي لهجة بني الفتح –جيجل– يقولون: «الهَبْرِيَّة في: الإبرية، والزْهَرْ في: الزَّأَر. ومنها قولهم عند الجواب "إِيهْ" وتارةً "هِيهْ" بإبدال الهمزة هاء».[2] وهذه الصورة الصوتية موجودة في أمثلة قليلة احتفظت بها العربية، تقول العرب: أرَاق وهرَاق، وقالوا: إِيَّاك تَفعَل وهِيَّاك، إِبرِيَّة وهِبرِيَّة.[3]

وأمّا بالنسبة للغات الساميّة فإنّ هذه الظاهرة كثيرة الدوران فيها،[4]«ففي العبرية نجد الفعل: hafak بمعنى: (ضد) أو (عكس) وهو يقابل الفعل العربي: (أفك)، وهو في الآرامية: happak، وفي السريانية: happak، وأمّا الأكادية فقد ضاعت منها الهاء، فهو فيها: apaku أو: abaku».[5] ما يجعل هذه الصورة الصوتية للهمزة أحد مظاهر الركام اللغوي. وقد تجلّت في بعض الكلمات في اللهجة الجزائرية على نحو ما ذكرنا.

---

[1] ينظر: مختار نويوات ومحمد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان – بسكرة–، ص: 31.

[2] ينظر: بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 53.

[3] ينظر: ابن السكيت: الإبدال، تح: حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1978، ص: 88.89.

[4] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 19.

[5] مر. ن، ص. ن.

3.1. إبدال الهمزة عينًا:

إلى جانب إبدال الهمزة هاءً، نجد بعض اللهجات الجزائرية تبدلها عينًا، لاسيما المناطق الصحراوية –اللهجة التواتية– بأدرار؛ إذ يقول سكانها: «قُرْعَان بدلًا من: قُرْآن».[1] وهذه الظاهرة تطرقنا إليها في الجزء السابق تحت مسمى "العنعنة"، وهي مطّردة في لهجة تميم وبعض قيس وأسد؛ إذ يجعلون الهمزة عينًا في بعض الكلمات، فيلفظون: "لَعَلَ" "لَأَنَ" بإبدال اللّام أيضًا نونًا، ويقولون بدلًا من: "أنّ وإنّ"، "عَنّ وعِنّ".[2] وعلى لهجة تميم قال ذو الرمة:[3] [بحر البسيط]

أَعَن تَرَسَّمتَ مِنْ خَرقاءَ مَنزِلَةً * ماءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَينِيكِ مَسجومُ**

وقد ذكرنا سالفًا أنّها –أي العنعنة– من نماذج الركام اللغوي الذي احتفظت به العربية؛ إذ أثبتت الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة أنّ إمكانية حدوث تعاقب بين العين والهمزة ليس خاصًا بالعربية دون أخواتها الساميّات؛ بل إنّ هذا النوع من التحوّل الصوتي موجود لدى بعض الساميّات كالكنعانية، والعبرية والإثيوبية.[4] وبالتالي فإنّ ما نسمعه في بعض اللهجات الجزائرية من أداء لظاهرة العنعنة هي تجليات لمظهر من مظاهر الركام اللغوي في الفصحى.

2. نطق التاء طاءً:

يشيع في كثير من اللهجات الجزائرية نطق "التاء" "طاءً"، من مثل: «كلمة: طْرُوحْ في: تْرُوح».[5] وقولهم: «انصِط بدلًا من: انصِت».[6] ومنه أيضا نطقهم لكلمة: مِيطْرَة في: "متر"؛ حيث وقع فيها تغيران، الأول مد كسرة الميم فنتج عنه صوت الياء، والثاني نطق التاء طاءً لتنسجم مع الراء التي تعدّ

---

[1] أحمد أبّا الصافي جعفري: اللهجة التواتية الجزائرية، ص: 26.

[2] ينظر: مناع القطان: نزول القرآن على سبعة أحرف، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص: 5.

[3] ابن دريد: جمهرة اللغة، 76/3.

[4] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 23.

[5] بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 77.

[6] أحمد أبّا الصافي جعفري: اللهجة التواتية الجزائرية، ص: 26.

في بعض الأحيان صوتًا مطبقًا.[1] وكلمة: يَطْرَة في: "لتر"، هي الأخرى حدث فيها تغيران، فأمّا الأول فإبدال اللام ياءً ذلك أنّ كلاهما من الأصوات المائعة، ويشتركان في قوة الوضوح السمعي وفي التوسط بين الشدة والرخاء. وأمّا الثاني فنطق التاء طاءً للسبب نفسه كما في كلمة: "ميطرة".[2]

وتعدّ هذه الصورة النطقية شاذة في الفصحى؛ إذ إنّ المطّرد في العربية أن يؤتى بالتاء مهموسة،[3] «ممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا».[4]

وقد احتفظت الفصحى بشيء من هذه الصورة الصوتية الشاذة للتاء؛ إذ يذكر أبو الطيب اللغوي (ت351هـ) أنّه يقال: «رَجُلٌ تَبِنٌ بَيِّنُ التَّبَانَةِ وَالتَّبَانِيَة، وَطَبَنٌ بَيِنُ الطَّبَانَة وَالطَّبَانِية، وَهُوَ الفَطِنُ».[5] مضيفًا: «وقال الكسائي: سَمِعتُ التَّرياقَ وَالطَّرياقَ».[6]

ومن خلال مقارنة العربية بأخواتها الساميّات تبيّن أنّ هذا الإبدال لا يخص العربية وحدها من بنات المجموعة الساميّة، فقد جاءت أمثلة على هذا الأمر في السريانية؛ بحيث يقابل الفعل العربي (قتل) في السريانية: qétal بالطاء، وفيها: qattula بمعنى: قاتل، وqatla أي: قتْل. وفي الصفاوية جاء الفعل (قتل) على صورتين:(qtl) بالتاء، وهي الصورة الغالبة على الاستعمال، و (qtl) بالطاء، وهي صورة قليلة.[7] وبالتالي فإنّ تلك الأمثلة القليلة التي امتدت في بعض لهجات العربية تشكّل ركامًا لغويًّا لما اطّرد في الساميّة الأولى، وما وجد في اللهجة الجزائرية من أمثلة هو تجلي لهذا الركام في اللهجات الحديثة.

---

[1] ينظر: بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 76.77.

[2] ينظر: مر. ن، ص: 77.

[3] ينظر: سيبويه: الكتاب، 434/4.

[4] مر. ن، 433/4.

[5] الإبدال، 128/1.

[6] مر. ن، 133/1.

[7] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 79.

3. تطور صوت الجيم:

تعدّ الصورة الصوتية للجيم المعطشة الأكثر اطّردًا في العربية، حدد سيبويه مخرجها بقوله: «ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم»،[1] وفي المقابل فإنّ ظاهرة عدم التعطيش؛ «جيم أقصى الحنك»[2] من الشواذ التي حفظتها الفصحى. واطّردت تمام الاطّراد في لهجاتها الحديثة، ففي اللهجات الجزائرية عمومًا لا نكاد نسمع الجيم المعطشة ألبتة.

بالرجوع إلى اللغات الساميّة القديمة والمقارنة بينها تبيّن أنّ الأصل في نطق الجيم أن يأتي بغير تعطيش، يقول "كارل بروكلمان Carl Brockelmann": «احتفظت العربية القديمة في الغالب بالأصوات الأصلية، غير أنّ صوت الجيم (g)، الذي لا يزال يحتفظ بنطقه القديم في اللهجة التي يتكلم بها الآن في مصر، قد تحول في العربية القديمة –كما في معظم اللهجات الحديثة– إلى صوت مغور (mouilliert) مركب من جزأين، أحدهما شديد والآخر رخو(affrikata) وهو: g(dž)».[3]

ووافق "بروكلمان Brockelmann " في ما ذهب إليه كل من الأستاذ "رمضان عبد التواب" و"يحي عبابنة" ؛ إذ يذكر الأخير في معرض حديثه عن تطوّر صوت الجيم أنّ نطقه في الأصل كان من غير تعطيش، يقول: «وأول هذه الأدلة أنّ اللغات الساميّة بصورة مجملة لا تجد فيها صوت الجيم المركب، إلّا في تلك الكلمات المستعارة من لغات أخرى، أمّا الكلمات الساميّة الأصلية، فإنّ نطقها لا يكون بالجيم الخالية من التعطيش، ومثال ذلك من اللغة الجعزية (الإثيوبية) الكلمات الآتية: (hager) بمعنى: "قرية" أو "بلدة"، ومنها كلمة، (gamus) بمعنى: "جاموس"، و(gundan) بمعنى: "مورد ماء" أو "عنكبوت". وأمّا في العبرية، فنجد على سبيل المثال لا الحصر: (garam)

[1] الكتاب، 433/4.

[2] إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص: 70.

[3] فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، الرياض، السعودية، (د. ط)، (د. س)، ص: 48.

بمعنى: "قضم"، و(garaf) بمعنى: "جرف"، و(reger) بمعنى: "رِجْل". وأمّا في السريانية، فنورد: (gaddal) بمعنى: "جدل" و"نسج"، و(geba) بمعنى: "جبى" من جباية الضريبة».[1]

والرأي ذاته نجده عند "رمضان عبد التواب" إذ يقول: «فإنّ مقارنة اللغات الساميّة كلها، تشير إلى أنّ النطق الأصلي لهذا الصوت، كان بغير تعطيش، كالجيم القاهرية تمامًا؛ فكلمة: "جمل" مثلًا، هي في اللغة العبرية: gamal، وفي الآرمية: gamal، وفي الحبشية: gamal، أمّا العربية الفصحى، فقد تحول فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج يبدأ بدال من الغار، ثم ينتهي بشين مجهورة».[2]

ومن المحتمل أن تكون الصورة الصوتية للجيم الحالية –بغير تعطيش– قد وجدت لدى بعض العرب في القديم بدليل استمرارها في اللهجات العربية الحديثة ومنها الجزائرية. ما يزيد من احتمالية أن تكون الجيم الخالية من التعطيش في الفصحى من نماذج الركام اللغوي. وهي في لهجاتنا الجزائرية تجلي لهذا الركام.

4. نطق الذال دالًا:

يتخذ صوت الذال في اللهجات الجزائرية صورتين صوتيتين شائعين وهما إمّا: نطقه ذالًا على أصله، وإمّا دالًا، وهذه الأخيرة تقع بصورة مطّردة في لهجات كثيرة. يقول أهل "جيجل" ومن يجاورهم: «الدْهَبْ في: "الذهب"، والدْنُوبْ في: "الذنوب"، البَدْلَة في: "البذلة"».[3] وفي مناطق من أدرار لا ينطق العامة فيها الذال البتة، إذ يقولون: "أُدُنٌ، إِدَاعَة" بدلًا من: "أذن، وإذاعة".[4] وكذا في مناطق عديدة من ولاية قالمة.

[1] ينظر: تطور صوت الجيم في اللغة العربية وأثره في تشكيل بنية الكلمة، ص: 313.

[2] التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 25.

[3] بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 79.

[4] ينظر: أحمد أبّا الصافي جعفري: اللهجة التواتية الجزائرية، ص: 26.

وتذكر لنا المصادر العربية أمثلة قليلة وقع فيها هذا النوع من الإبدال عند العرب قديمًا، يقول أبو الطيب اللغوي (ت351هـ): «حَكَى بَعضُهُم فِي اسمَ هَذِهِ الدَّابَة: القُنْفُذُ وَالقُنْفُدُ، وَالجَمِيعُ القَنَافِذُ وَالقَنَافِدُ، بالدَّالِ وَالذَّالِ جميعًا. ويقال: رَجُلٌ مُنَجَّذٌ ومُنَجَّدٌ، وَهُوَ الذِي قَد جَرَّبَ الأُمُورَ وعَرفَهَا».[1] ما يجعل هذه الصورة الصوتية للذال قديمة في العربية.

وبعد تتبع تاريخ التغيرات الصوتية في العربية وأخواتها الساميّات، تبيّن أنّ تغير الذال إلى الدال بصورة مطلقة، قد حدث في بعض اللغات الساميّة، وذلك في الآرامية والسريانية والمنداعية.[2] تذكر "آمنة صالح الزعبي" في مقابل كلمة (ذبابة) في العربية نجد «في السريانية: dabbaba وdebbaba بالدال، بالمعنى نفسه، وفي المنداعية: didbia، وهي صيغة جمع، تحولت الذال فيها إلى ذال أيضًا، وفي الآرامية: dibaba، بالدال أيضًا».[3]

وقد احتفظت العربية ببعض الشواذ من إبدال الذال دالًا –على نحو ما أوردنا أمثلته– والتي تعدّ امتدادًا للنطق السامي القديم، وهي بذلك نموذج من الركام اللغوي في الفصحى، تجلى في أغلب اللهجات الجزائرية.

5. نطق الصاد زايًا:

تطّرد في اللهجات الجزائرية صورتان صوتيتان لنطق "الصاد"، الأولى أن يؤتى به على أصله مهموسا،[4] وهذه الصورة الصوتية في المطّردة في العربية.

والثانية نطقه "زايًا" كما في جيجل –الشمال الشرقي للجزائر– قولهم: «كَزْدِيرْ في "قصدير"، زْدَمْ في "صدم"، التَّزْفَارْ في "الصفير أو التصفير"».[5] وغيرها كثير من أمثلة أبدل فيها الصاد زايًا.

---

[1] ينظر: الإبدال، 358.387/1.

[2] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 109.110.

[3] مر. ن، ص: 110.

[4] ينظر: سيبويه: الكتاب، 434/4.

[5] بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 70.

وهذا التغير الصوتي الذي لحق الصّاد في لهجاتنا نجده في القراءات القرآنية، فقد قرئ قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ**﴾ [القصص/23]، {يُزدِرَ الرِّعَاءُ}[1].

وتعدّ الصورة الصوتية الأخيرة من الشاذ في الفصحى؛ إذ احتفظت العربية بأمثلة قليلة لهذا الإبدال، يقال: «هُو كَثِير القَزْدِ لَكَ وَالقَصْدِ لَكَ، وقال أبو زيد: ويقال: إِنَّهُ لَرَصِينٌ وَرَزِينٌ: إِذَا كَانَ وَقُورًا، وَإِنَّهُ لَبَيِّنُ الرَّزَانَة وَالرَّصَانَة».[2] ومن ذلك أيضا قولهم: «حَصَدتُ الزَّرعَ أَحْصدُهُ حَصْدًا، وَحَزَدتُهُ أَحْزدُهُ حَزْدًا. ويقال لهذا الطائر: الزَّقْرُ وَالصَّقْرُ. ويقال: بَزَقَ يَبزقُ، وَبَصَقَ يَبْصقُ، وهو البُزَاقُ وَالبُصَاقُ».[3]

إنّ لهذه الصورة الصوتية شواهد قليلة في اللغات الساميّة كالعبرية والسريانية.[4] تعلل "أمنة صالح الزعبي" سبب ذلك قائلةً: «وقد يعود السبب في قلة هذه الأمثلة إلى أنّ الصاد والزاي في اللغات الساميّة عامة، كانت من الأصوات التي تميل هذه اللغات إلى تحويل أصوات أخرى إليها، فقد تحول إلى الصاد كل من الضاد والظاء، وتحول إلى الزاي الذال».[5] وبالتالي فإنّ ما احتفظت به العربية من بقايا هذا الإبدال الصوتي هو من الركام اللغوي، والأمثلة السابقة من اللهجة الجزائرية هي تجليات هذه الظاهرة.

6. الصور الصوتية لصوت القاف في اللهجات الجزائرية وعلاقتها بالفصحى:

يتخذ صوت القاف في اللهجات الجزائرية صورًا صوتية متعددة، تختلف باختلاف المناطق شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا؛ إذ ينطق: " قافًا، وكافًا، وهمزةً، وڤافًا، ... ".

---

[1] ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، تح: عبد الرحمان العثيمين مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1992، 170/2.

[2] أبو الطيب اللغوي: الإبدال، 128/2

[3] ينظر: مر. ن، 133.132/2.

[4] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 92.

[5] مر. ن، ص. ن.

1.6. نطق القاف قافًا.

فأمّا الصورة الصوتية الأولى "نطقها قافًا" فتطّرد في اللهجات العربية الحديثة كما في الفصحى؛ حيث نسمع في لهجاتنا الجزائرية أنّ بعض المناطق تنطق القاف كما في الفصحى مهموسة على نحو ما وصفها المحدثون؛ إذ «يتم نطق هذا الصوت برفع أقصى اللسان حتى يلتقي باللهاة ويلتصق بها فيقف الهواء، مع عدم السماح له بالمرور من الأنف. وبعد ضغط الهواء مدة من الزمن يطلق سراح مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًا ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به».[1]

وقد تبيّن من خلال مقارنة العربية بأخواتها الساميّات أنّ الأصل في القاف الهمس. يقول فوزي الشايب: «وبمقارنة هذا الصوت في العربية بنظائره في اللّغات السّامية تتأكد حقيقة كونه صوتًا انفجاريًا مهموسًا، ففي العبرية مثلاً: "köl" قول، وفي الآرامية: "kälä" قالا، وفي الحبشية: "käl" قال بمعنى صوت في الجميع، وهو يقابل في العربية: "قول" وفي الآشورية: "külu" قول بمعنى: "صراخ"، وهذا النّطق المهموس هو الّذي نسمعه الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية».[2]

ومن المحتمل أن تكون هذه الصورة النطقية للقاف موجودةً لدى بعض اللهجات العربية قديمًا بدليل امتدادها في اللهجات الحديثة ومنها اللهجة الجزائرية؛ إذ تعدّ هذه الصورة الأكثر اطّرادًا في ألسنة الجزائريين، يقول سكان ولاية "قالمة": "قَرْنْ، وَقَهْوَة، وَقْرُنْفَلْ، وَقَايْمَة، ...". وبالتالي فإن هذه الطريقة في نطق القاف في اللهجات الجزائرية تعدّ تجليًا للركام اللغوي في الفصحى.

2.6. نطق القاف كافًا:

وأمّا الصورة الصوتية الثانية "نطقها كافًا"، فتطّرد في لهجة "جيجل" يقول الأستاذ "بلقاسم بلعرج": «إنّ تطور صوت القاف عبر الزمان عامٌ في اللهجات العربية من المحيط إلى الخليج، فهي تنطق إمّا

[1] كمال بشر: علم الأصوات، دار الغريب، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2000، ص: 276.

[2] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 53.54.

قافًا، وإمّا همزة، وإمّا غينًا أو قافًا، أو جيمًا، وأحيانًا كافًا، وهذه الأخيرة كثيرة الشيوع في منطقة جيجل».[1] الذين يقولون: «كَالَ في: "قال"، لَكْشُورْ في: "القشور"، الْوَكْتْ في: "الوقت"، الْكَرْمَة في: "القرمة"، لَكْمَجَة في: "لقمجة"، الْكَرْمُودْ في: "القرميد"، لَكْبَرْ في: "القبر"».[2] ومنه أيضا قولهم: «"كْعَتْ فدَّارْ وَحْدِي"؛ أي قعدتُ في المنزل وحيدًا».[3]

وفي اللهجات الحديثة لبعض المناطق العربية وُجد أنّ «هذا النطق شائع في نطاق واسع في لهجات الريف والقرى الفلسطينية عامة –باستثناء منطقة بئر السبع في الجنوب والقرى القريبة منها والمحيطة بمنطقة الخليل– ففي الفلسطينية الدّارجة يقال: كُلْتْ، وَكُلْنَا، وَكُمْتْ، وَكُمْنَا، وَكَامَا، وَكَعَدْ، وَكَلْبْ وَكَمَرْ، بدلًا من: قلتُ، وقلنَا، وقمتُ، وقمنا، وقام، وقعد، وقلب، وقمر».[4] وهذا النطق الشائع في اللهجتين الأردنية والليبية الدّارجتين أيضًا.[5]

تعدّ هذه الصورة الصوتية للقاف من الشاذ في الفصحى؛ إذ وُجد في العربية بعض الأمثلة التي أبدل فيها القاف كافًا، من ذلك قول الشاعر:[6] [بحر البسيط]

وَلَا أَكُولُ لِكدرِ الكَوْمِ كَدْ نَضَجْت * وَلَا أكُولُ لِبابِ الدَّارِ مكْفُولُ.**

وقد ورد هذا الإبدال الصوتي أيضا في القراءات القرآنية حيث قرئت "فلا تقهر" بالكاف في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾ [الضحى/09]. وذكر الفراء أنّ هذه الآية: «في مصحف عبد الله

[1] الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 39.

[2] مر. ن، ص: 40.

[3] مر. ن، ص: 84.

[4] فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 55.

[5] ينظر: مر. ن، ص: 57.

[6] مر. ن، ص: 54

{فلا تكهر} وسمعتها من أعرابي من بني أسد».[1] وقال ابن خالويه إنّها: «في حرف ابن مسعود "فلا تكهر" بالكاف، وعلل ذلك بأنّ العرب تبدل القاف كافًا والكاف قافًا لقرب مخرجهما».[2]

وأمّا التفسير الصوتي لانقلاب القاف إلى صوت الكاف «فناشئ عن تقدم مخرج القاف إلى الأمام قليلًا مع ترقيقها، واحتفاظها بصفة الشدة في نطقها».[3]

وتجدر الإشارة إلى أنّ تطور القاف إلى صوت الكاف لم يأت من فراغ؛ وإنّما هو تطوّر موصول الأسباب باللغات السامية، وحقيقة أمره أنّه امتداد لذلك للنطق السامي القديم،[4] وبالتالي فهذه الصورة النطقية للقاف في اللهجات الجزائرية تعدّ تجليًا لمظهر من مظاهر الركام اللغوي في الفصحى.

3.6. نطق القاف همزة:

وأمّا نطق القاف همزة، فمطّرد في لهجات الغرب الجزائري في "تلمسان" وما جاورها؛ إذ يقولون: "آلَ" بدلًا من "قال"، "أُلْتْ" بدل: "قُلت"، و"آعَدْ" بدل: من "قاعد"، و"أَلْبْ" في: "قلب"...، وهذه الطريقة في الأداء موجودة في لهجات معاصرة أخرى على غرار لهجتنا؛ إذ نجدها لدى بعض المصريين كما في القاهرة والإسكندرية والشاميين في دمشق وبيروت.[5]

أما بالنسبة للفصحى فإن هذه الصورة الصوتية تعدّ من قبيل الشاذ؛ إذ تذكر لنا المصادر العربية أمثلة قليلة وقع فيها هذا التحول الصوتي، من نحو: «أَشَبَهُ، يَأْشِبُهُ، أَشْبًا وقَشَبَهُ، يَقْشِبُهُ، قَشْبًا: إذا لامه وعابه. وأصل الأَشْبُ والقَشْبُ: الخلط».[6]

---

[1] معاني القرآن، 274/3.

[2] ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، (د. تح)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1985، ص: 122.

[3] فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 59.

[4] ينظر: آمنة صالح الزعبي: التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص: 65.

[5] ينظر: فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 54.

[6] ينظر: أبو الطيب اللغوي: الإبدال، 561/2.

يفسّر هذا الإبدال الحاصل بين صوتي القاف والهمزة بـ «أنّ القاف تأخر مخرجها إلى الخلف باحثًا عن أقرب الأصوات شبهها من الناحية الصوتية، ولا يوجد في أصوات الحلق ما يشبه القاف إلّا الهمزة وذلك لوجود صفة الانفجار في كل منهما».[1]

وقد تمّت الإشارة في الجزء السابق إلى أنّ هذه الصورة الصوتية للقاف هي بقايا للنطق السامي القديم،[2] ورغم محاولة الفصحى التخلص منها والتمييز بين الأصوات، إلّا أنّ هذا الإبدال ظل في بعض كلماتها وامتدّ إلى لهجاتها المعاصرة، فالهمزة في "تلمسان" بدلًا من القاف كما الكاف في "جيجل" هي تجليات لنماذج من الركام اللغوي الذي احتفظت به الفصحى.

7. ظاهرة التلتلة:

يذكر الأستاذ "بلقاسم بلعرج" في الدراسة الميدانية التي قام بها عن لهجة بني الفتح في مدينة جيجل أنّ: حركة حرف المضارعة في اللهجة يشيع فيها الفتح والتسكين ويقلّ الضم والكسر، فالكسر يكاد يكون منعدمًا باستثناء كلمتي: "يْبَسْ، جَا"، فأمّا الأولى فتنطق تارةً "يِبَسْ" وتارةً "يَيْبَسْ"، أمّا الثانية "جا" فتنطق تارةً "يْجِي" وتارةً "يِيجِي".[3]

ويطّرد في لهجة الصحراء الجزائرية وتحديدًا في اللهجة التواتية بالجنوب الجزائري ميل العامة إلى كسر حروف المضارعة بدل فتحها، يقول أحمد أبّا الصافي جعفري: «حرف المضارعة لا يكون إلّا مفتوحًا أو مضمومًا إذا كان ماضيه رباعي. غير أنّ العامة تكسره ويقولون "يِشرب، يِخرج، يِدخل"».[4] وقد سبقت الإشارة إلى أنّ ظاهرة التلتلة –كسر حروف المضارعة– والتي تنسب إلى قضاعة وبهراء؛ إذ يكسروا أهل هذه القبائل أول الفعل المضارع فيقولون: تِعلمون، وتِكتبون، وتِنجحون".[5] هي مظهر

[1] فوزي الشايب: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 54.55.

[2] ينظر: مر. ن، ص. ن.

[3] ينظر: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 167.

[4] اللهجة التواتية الجزائرية، ص: 22.23.

[5] ينظر: مناع القطان: نزول القرآن على سبعة أحرف، ص: 5.

من مظاهر الركام اللغوي في العربية؛ لأنّها ساميّة قديمة، توجد في العبرية والسريانية والحبشية. والفتح في أحرف المضارعة حادث –في رأيي رمضان عبد التواب– في العربية القديمة؛ بدليل عدم وجوده في اللغات الساميّة الأخرى.[1] وبذلك تكون طريقة الأداء التي نسمعها في غير منطقة جزائرية تجليًّا لهذا الركام.

8. البدء بساكن:

المطّرد في اللغة العربية أنّها لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك، وقد جرت الكلمة العربية على مبانٍ خاصة اجتمعت فيها الأصوات الصامتة والصائتة اجتماعًا اشتمل على التناسب والتوافق، فلستَ واجدًا صوتًا صامتًا إلّا وقد سبق أو تلي بآخر صائت. ثم إنّك لا تجد صوتًا صامتًا متلوًا بآخر صامت كما يحدث في طائفة من اللغات السامية وغير السامية. كما لا تجد كلمة عربية بُدأت بصوت صامت إلّا اتبع بصوت صائت. وهذا يعني في لغة النحاة أنّ العرب لا يبدؤون بالساكن.[2]

ولكننا نجد بعض الكلمات ذات الأصل العربي من مثل: ابن، واسم، واستخرج، والتمس، وانهزم، وفعل الأمر من الثلاثي نحو: "اضرب". قد جاءت على غير الأصل المطّرد في اللغة؛ حيث إنّ هذه الألفاظ قد بدئت بصوت صامت وهو: الباء والسين واللام والنون والضاد. وهذه الأصوات ساكنة غير متحركة؛ أي إنّها لم تتبع بحركة. وهذا ما سمي في كتب النحو بـ "البدء بساكن".[3]

ذهب "إبراهيم السامرائي" في تفسير ظاهرة البدء بساكن إلى أنّ هذه الكلمات وغيرها ممّا بدئت بساكن تعود إلى المرحلة الأولى للعربية يوم كانت غير مستقرة ولا ناضجة، ممّا يمكن عدّه ركامًا لغويًّا، ولما استوفت العربية حظها من النضج والتوافق بين الصوائت والصوامت، انساق المعربون إلى أنّ تأخذ هذه الألفاظ ونظائرها طريقة العربية من حيث البدء بالمتحرك، فألحقت—العربية– بهذه الأصوات

[1] ينظر: رمضان عبد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص: 267.

[2] ينظر: إبراهيم السامرائي: مقدمة في تاريخ العربية، ص: 23.24.

[3] ينظر: مر. ن، ص: 24.

الصامتة نوعًا من الهمزة بشيء من صوت مختلس أو مخطوف يستعان به إلى الوصول إلى الصوت الصامت الذي بدأت به بنية الكلمة.[1]

إنّ ظاهرة البدء بساكن من الظواهر الصوتية المطّردة في اللهجات الجزائرية عمومًا؛ إذ يقولون: «كْتَبْ، وقْعَدْ، وعْلَمْ، وكْرَمْ، وكْبَرْ، وصْغَرْ، وفْتَحْ، وسْفَرْ، وخْرَجْ، وفْرَحْ، وحْزَنْ، ورْبَحْ».[2] في: كَتَبَ، وقَعَدَ، وعَلَمَ، وكَرَمَ، وكَبِرَ، وصَغِرَ، وفَتِحَ، وسَفَرَ، وخَرَجَ، وفَرِحَ، وحَزِنْ، ورَبِحَ. ويمكن تفسير هذه الظاهرة اللغوية المطردة حاليًا في اللهجات الجزائرية على أنّها تجلي لمظهر من مظاهر الركام اللغوي في العربية الفصحى.

9. الإبدال في حروف العلة:

يطّرد في لهجة عنابة بالشرق الجزائري قولهم: "فَاهَا" و"بَاهَا" و"عَلَاهَا" بدلًا من: "فِيهَا" و"بِيهَا و"علِيهَا".

ولهذه الطريقة من الأداء أثر في بعض قبائل العرب؛ إذ عُزيت إلى بني الحارث بن كعب، وهي قياسًا بالنموذج الشائع في الفصحى تعدّ من قبيل الشاذ. يذكر البغدادي: «عن قوم من العرب: لَدَاكَ، وَإِلَاكَ، وعَلَاكَ، فلم يقلبوا الألف ياء مع المضمر في عَلَاهُنَّ وعَلَاهَا وحَقوَاهَا. وكان القياس: عليهن، وعليها، وحقويها... وهذه لغة بني الحارث ابن كعب، ولغتهم قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا، يقولون: أخذت الدِّرهَمَان، والسَّلَامُ عَلَاكُم».[3] قال الشاعر:[4] [بحر الرجز]

طَارُوا عَلَاهُنَّ فَطِر عَلَاهَا * وَاشْدُد بِمَثنَى حَقَبٍ حَقوَاهَا.**

[1] ينظر: مقدمة في تاريخ العربية، ص: 24.

[2] مختار نويوات ومحمد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان –بسكرة–، ص: 47.

[3] خزانة الأدب، 113/7.

[4] مر. ن، 105/7.

ولعل ما كانت عليه لغة بلحارث بن كعب هو أسبق ممّا اطّرد بعد ذلك في الفصحى، بدليل قول "حسن عون": «بعض هذه الظواهر كان أسبق من بعضها الآخر، وبعضها قد تطوّر من حالة إلى أخرى، بينما التزم البعض الآخر نفس الحالة التي عُرف بها منذ القدم».[1] ما يجعل هذه الظاهرة التي احتفظ بها بنو الحارث من الركام اللغوي. وبالتالي فإنّ ما نسمعه في ألسنة العنابيين هو تجلي لمظهر من مظاهر الركام اللغوي في الفصحى.

10. انكماش الأصوات المركبة:

تطّرد في اللهجات الجزائرية عمومًا كلمات من قبيل: "يُومْ"، و"نُومْ"، و"زِيتْ"، و"لِيلْ"، والتي تعدّ من الشاذ في الفصحى؛ إذ إنّ المطّرد أن يقال: يَوْمٌ، ونَوْمٌ، وزَيْتٌ، ولَيْلٌ.

تعدّ هذه الطريقة من الأداء من بقايا تلك المرحلة التاريخية التي تسمى في عُرف علماء اللغة المحدثين "انكماش الأصوات المركبة"؛ والأصوات المركبة في العربية هي: الواو والياء المسبوقتان بفتحة، في مثل: "قَوْلْ" و"بَيْتْ".

يذكر "رمضان عبد التواب" أنّ الملاحظ في تطوّر اللغات انكماش هذه الأصوات؛ فتتحول الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة طويلة ممالة، وكذلك تنكمش الياء المفتوح ما قبلها، فتتحول إلى كسرة طويلة ممالة. مضيفًا أنّ هذه المرحلة هي الشائعة في اللغة الحبشية في الأفعال الجوفاء. وأنّ لها امتدادًا في بعض اللهجات العربية القديمة التي تُميل.[2]

وبالتالي فإنّ الكلمات العربية التي انكمشت الأصوات المركبة فيها هي من الركام اللغوي، وما اطّرد في اللهجات الحديثة عموما والجزائرية خصوصا هو تجلي لهذا المظهر من الركام اللغوي.

[1] اللغة والنحو، ص: 81.

[2] ينظر: بحوث ومقالات في اللغة، ص: 63.64.

ثالثًا: مظاهر الركام اللغوي في المستويين الصرفي والتركيبي للهجات الجزائرية:

تطّرد في اللهجات الجزائرية ظواهر صرفية وتركيبية تعدّ من الشاذ في العربية؛ إذ يفسرها علماء اللغة المحدثون تحت مسمى "الركام اللغوي". وقد جمعنا في هذا المبحث بين المستويين –الصرفي والتركيبي– لقلة الظواهر النحوية في اللهجات الجزائرية التي يمكن إدراجها ضمن الركام اللغوي.

واقتصارنا على هذه العينة لا يعني ألبتة أنّها الظواهر الوحيدة في هذين المستويين التي يتجلى فيها الركام في اللهجة الجزائرية. وإنّما هذا ما تسنى لنا جمعه خلال فترة البحث المحددة.

1. تتميم اسم المفعول من الفعل الأجوف:

المطّرد في العربية أن يصاغ اسم المفعول من الثلاثي الأجوف على وزن "مَفُول" بحذف عينه؛ يقول ابن عصفور (ت 669هـ): إنّ الأصل في اسم المفعول من الفعل المعتل العين أن يأتي على وزن "مَفعُول" على قياس الصحيح، نحو: "مَبْيُوع" و"مَقْوُول". فيُعلُّ حملًا على فعله.[1] ثمَّ «ينقل الحركة من العين إلى الفاء، في ذوات الواو، فيلتقي له ساكنان، فيحذف العين فيقول: مَقُول. وفي ذوات الياء نحو:"مَبْيُوع" ينقل الضَّمَّة من الياء إلى ما قبلها، ثمَّ يقلب الضَّمَّة كسرة لتصحَّ الياء فيلتقي الساكنان: الياء وواو "مفعول"، فتُحذف الياء، فتجيء الواو ساكنة بعد كسرة، فتقلب الواو ياء، فيقول: مَبِيعٌ».[2]

ويعدّ النحويون من الشذوذ سماعًا وقياسًا تتميم اسم المفعول فيما عينه حرف علة؛ حيث يرى "ابن جني" أنّ ما جاء من اسم المفعول متمَّمًا قد جاء دليلًا على الأصل، ونسب هذه الظاهرة إلى قبيلة تميم. قائلًا: «ومن ذلك اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين نحو: مَبِيع ومَخِيط، ورجل مَدِين من الدَّين. فهذا كله مغيّر. وأصله: مَبْيُوع، وَمَدْيُون، وَمَخْيُوط، فغُيّر على ما مضى. ومع ذلك فبنو تميم – على ما حكاه أبو عثمان عن الأصمعي– يتمُّون مفعولًا من الياء فيقولون: مَخْيُوط ومَكْيُول؛ وقال:

[1] ينظر: ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص: 296.
[2] مر. ن، ص: 296.297.

قول بعضهم: ثوب مَصْوُون وفرس مَقْوُود ورجل مَعْوُود من مرضه. وأنشدوا فيه:والمسك في عنبره مدووف».[1] وعلى لهجة تميم في صياغة اسم المفعول جاء قول علقمة بن عبدة:[2] [بحر البسيط]

حَتَّى تَذكَّرَ بيَضَاتٍ وَهَيَّجَهُ ***يَومُ الرَّذَاذِ عَلَيْهِ الدَّجْنُ مَغْيُومُ.

وأنشد أبو عمرو بن العلاء:[3] [بحر الكامل]

وَكَأنَهَا تُفَاحَةٌ مَطْيُوبَةٌ.

ورد في البيتين السابقين اسم المفعول تامًا في: "مَغْيُومُ" و"مَطْيُوبَةٌ " وهذا من الشاذ الذي حفظته اللغة في شواهد قليلة، والمطّرد أن يأتيا: "مَغِيمٌ" و"مَطِيبَةٌ" على الترتيب.

ولكن هذا الشذوذ أصبح ظاهرة مطّردة في اللهجات الحديثة لاسيما اللهجات الجزائرية؛ حيث يشيع قولنا: مَدْيُونْ، ومَبْيُوعْ بدل: مَدِينٌ ومَبِيعٌ.[4]

ويفسّر اللغويون المحدثون تتميم اسم المفعول من الأجوف- واويًّا كان أم يائيًّا- على أنّه ركام لغوي للمرحلة الأولى التي كانت عليها اللغة، يقول فوزي الشايب: «فالبصريون -عمومًا- لا يجيزون إتمام مفعول من الواوي العين، ويعدّه الكوفيون لغة. وإذا صحّ أنّ إتمام مفعول من الواوي لغة بني يربوع وبني عقيل، فإنّ هذا يعني أنّ لغتهم تمثّل المرحلة الأولى لصيغة مفعول من الواوي، هذه المرحلة التي تطوّرت في لغات القبائل الأخرى. وقد انتشرت الصورة المتطورة بين العرب بحيث لم يبق على تلك المرحلة الأصلية؛ أي المرحلة الأولى إلّا ألفاظًا تشكّل ركامًا لغويًّا. وبقاء هذا الركام اللغوي يدل على بطء وتدرج التطور الصوتي».[5] مضيفًا: «والحقيقة أنّ صيغة اسم المفعول من الأجوف اليائي عندهم

[1] الخصائص، 262.261/1

[2] المبرد: المقتضب، 101/1.

[3] مر. ن، ص. ن.

[4] ينظر: بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 187.

[5] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 424.425.

تمثل الصورة الأولى لاسم المفعول من الأجوف اليائي، فلم يكن ناقصًا وأتموه، وإنّما بقي في لغتهم على حالته الأولى، وإتمام مفعول من الأجوف من اليائي هو الطابع العام للهجات الدارجة ففيها يقال: مَدْيُون، ومَبْيُوع، وفلانة مَزْيُونة..».[1]

وبالتالي فإنّ ما هو شائع في اللهجات الدارجة اليوم ومنها اللهجات الجزائرية من تتمّيم اسم المفعول من المعتل العين يعدّ تجليًّا لمظهر من مظاهر الركام اللغوي في الفصحى.

2. صيغة "افْعَالَّ":

تعدّ صيغة "افْعَالَّ" في العربية الفصحى من الصّيغ الشاذة؛ تقابلها الصيغة المطّردة "افعلّ"، ذلك أنّه من القوانين الصوتية المطّردة في العربية أنّها تمنع التقاء الساكنين إمّا بالحذف وإمّا بالحركة،[2] وقد اجتمع الساكنان في صيغة "افْعَالَّ" فالساكن الأول وهو ألف المد، والثاني هو اللام الأولى المدغمة في الثانية، والتي تقدر حركتها بالسكون "افْعَالْلَ".

ورغم محاولة العربية التخلص من التقاء الساكنين، فقد تخلفت بعض الأمثلة التي خالفت تلك الضوابط الصوتية، وبقيت صيغة "افْعَالَّ" في بعض الكلمات الفصيحة، من نحو: احمارّ، واحوارّ.[3]

ويذهب "إبراهيم السامرائي" في تفسير قلّة هذه الصيغة في العربية الفصحى بأنّها من بقايا المراحل السابقة في اللغة، يقول: «إذا استقرينا الأبنية الفصيحة القديمة وجدنا بناء "افعَالّ" مثل "احمَارّ" من الأفعال المزيدة وهذا الضرب من الأفعال قليل الورود، وقلته تشير إلى أنّه بقية قديمة لأفعال كانت شائعة في هذا الوزن. ولعلّ بسبب ثقلها وما يعرض لها من هذا المقطع (المقطع الطويل) تخفّفت منه

[1] ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص: 429.

[2] ينظر: سيبويه: الكتاب، 263/2.

[3] ينظر: الثمانيني: شرح التصريف، تح: إبراهيم بن سليمان البعمين، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1999، ص: 517.

العربية الفصيحة فصار "احمارّ" "احمرّ"، ومثله غيره، وهو يؤدّي في المعنى وإفادة الزيادة والمبالغة ما يؤدّيه وزن "افعالّ"».[1]

أمّا في اللهجات الجزائرية فتطّرد صيغة "فْعَالْ" التي تقابلها في الفصحى الصيغة السابقة "افْعَالَّ" نحو: احمارّ، اصفارّ، ...[2] نقول في لهجتنا: "صْفَارْ الحَشِيش، حْمَارْ التَّفَاح، عْوَارْ فْلَان، ...".

ويذكر الأستاذ "بلقاسم بلعرج" أنّ: «هذا البناء وإن كان له نظير في بعض اللغات الساميّة فإنّ العربية الفصحى حصرت استعماله في أوصاف اللون والعيب، والفرق بين الصيغتين هو أنّ اللهجة تبدأ فيه بساكن بينما تبدأ في الفصحى بمتحرك، واللام في الفصحى مضاعّف، وهذا لتوكيد الصفة أو اللون بينما في اللهجة ليس مضاعّفًا ربما لأنّ اللهجة تنشد الخفّة والسهولة ففرّت من الشّدة إلى السكون».[3]

وبالتالي يمكن توجيه مثل هذه الأمثلة على أنّها من قبيل الركام اللغوي، فربما كانت العربية في فترة مبكرة من تاريخها تسمح بالتقاء الساكنين، وهو ما عدّه القدماء ضرورةً أو شاذًا.[4] والأمثلة التي لا زالت متداولة في اللهجة الجزائرية هي تجلي لهذه الظاهرة الشاذة في الفصحى.

3. إبدال أحد التضعيفين ياءً في الفعل الثلاثي المضعف:

من المطّرد في اللهجات الجزائرية عامةً إبدال أحد التضعيفين ياءً في الأفعال الثلاثية المضعفة من نحو: شدّ، ومدّ، يقولون: "شدِّيتْ، شدِّينا، شدِّيتْ–أنتَ–، شدِّيتِ، شدِّيتُو"؛ حيث أضيفت الياء

[1] مقدمة في تاريخ العربية، ص: 29.

[2] ينظر: بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 157.

[3] مر. ن، ص. ن.

[4] ينظر: منصور عبد الكريم الكفاوين: ظاهرة الركام اللغوي بين القدماء والمحدثين، ص: 163.

بين الفعل والتاء والنون مع ضمائر المتكلم والمخاطب، وقد ذكر الأستاذ "بلقاسم بلعرج": أنّها من بين الظواهر التي حافظت عليها اللهجات العربية الحديثة من بقايا الفصحى.[1]

ويذكر "إبراهيم السامرائي" أنّ: «العرب تبدل الياء من أحد التضعيفين فيقولون: (تَظَنِيت) والأصل (تَظَنَّنْت)؛ لأنّه من "الظن"، ومنه (قَصَصْت) و(قَصِيت)».[2] وفي معرض حديثه عن "الفعل الثلاثي بين المضعف والمعتل" في تفسير إسناد الفعل المضعف إلى تاء الفاعل، يجعل تلك الأمثلة الموجودة في الفصحى بقايا من المرحلة المضطربة التي عرفتها العربية، يقول: «... مازلنا نحمل على الخطأ أو على طريقة العوام في لهجتهم الدّارجة قولهم (استمريت) بإسناد الفعل المضعف إلى تاء الفاعل. وفي العربية الفصيحة شيء من هذا وهو قليل. ولعلّ قلّته راجعة إلى أنّه من البقايا اللغوية القديمة التي تشير إلى مرحلة لغوية قديمة قد سبقت الفصيح المعروف الماثل في لغة التّنزيل».[3] وعليه فطريقة الأداء التي نسمعها في لهجاتنا الجزائرية هي تجلي لمظهر من مظاهر الركام اللغوي في الفصحى.

4. لغة أكلوني البراغيث:

تلتزم القاعدة النحوية في الجملة الفعلية إفراد الفعل إذا تقدم على فاعله أو نائب الفاعل، فيقال: صلّى الولدان، وصلّى الأولاد، وصلّت النسوة. وتمنع التطابق بينهما من حيث العدد قياسًا على اللغة المشهورة الشائعة على ألسنة أكثر العرب، وما هو ثابت في النصوص اللغوية الفصيحة.

إلّا أنّ كتب القدامى سجّلت لنا نمطًا تركيبيًا أقل تواترًا يطابق فيه بين الفعل وفاعله من حيث العدد حال تقديم الأول، فيقال في تلك اللغة: جاءا أخواك، وانطلقوا عبيدك، وتبعنهم إيماؤك، فتلحق الفعل ألف الاثنين إن كان الفاعل مثنى، وواو الجماعة إن كان جمع مذكر، ونون النسوة إن كان جمع تأنيث.

---

[1] ينظر: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 174.175.

[2] الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد، العراق، (د. ط)، 1966، ص: 116.

[3] مر. ن، ص: 115.

وحُكيت هذه اللغة عن بعض العرب، وسميت "لغة أكلوني البراغيث" يقول سيبويه في هذا الشأن: «واعلم أنّ من العرب من يقول: ضربوني قومُك، وضرباني أخواك، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في: «قالت فلانة»، وكأنّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة».[1] وعلى هذه اللغة جاء قول الشاعر:[2] [بحر المتقارب]

يَلمُونَنِي فِي اشتِرَاءِ النَّخِي * لِ أَهلِي فَكُلهُم أَلُومُ.**

القياس حسب النّحاة أن يقول: "يلومني" بإفراد الفعل وإن كان الفاعل جمعًا "أهلي".

اشتهرت اللغة التي تطابق بين الفعل والفاعل عند جمهور النحويين بتسمية "أكلوني البراغيث". وقد «عزيت لطيئ وأزد شنوءة».[3] ونسبها "رمضان عبد التواب" إلى «قبيلة "بلحارث بن كعب"، وقبيلة "أزد شنوءة"، وهما من القبائل اليمنية، التي لا تمت لأصل قبيلة طيئ بصِلة».[4]

وقد استقر عُرف النحاة على تسميتها كذلك "أكلوني البراغيث" على نحو ما حُكيت، وصار ذلك اصطلاحا يلخص مضمون اللغة. فلمّا كان عهد ابن مالك استعاض عن تلك التسمية بتسمية " يتعاقبون فيكم ملائكة" تبرّكًا بكلام النبي –صلى الله عليه وسلم– وأقرّ أنّه عليه الصلاة والسلام تكلّم بها، فقال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ**».[5] فطابق بين الفعل "يتعاقبون" والفاعل "الملائكة" بإلحاق واو الجماعة بالفعل لما كان الفاعل جمعًا.

---

[1] الكتاب، 40/2.

[2] ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1981، 490/1.

[3] السيوطي: همع الهوامع، 579/1.

[4] بحوث ومقالات في اللغة، ص: 270.271

[5] ينظر: ابن مالك: شرح التسهيل، 116/2.

وممّا جاء على هذه اللغة في المثنى، قول عمرو بن ملقط الطائي:[1] [بحر السريع].

أُلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ القَفَا * أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيهِ.**

وممّا جاء منها على جمع المذكر، قول ابن قيس الرقيات:[2] [بحر الطويل].

فَإِنْ نَفْنَ لَا يُبْقُوا أُولَئِكَ بَعْدَنَا * لِذِي حُرْمَةٍ فِي المُسْلِمِينَ حَرِيمُ.**

وممّا جاء منها على جمع المؤنث، قول الشاعر:[3] [بحر الطويل].

رَأَيْنَ الغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي * فَأَعْرَضْنَ عَنِي بِالخُدُودِ النَّوَاضِرِ.**

كما خرّج بعض النحويين على هذه اللغة بعض آيات الذكر الحكيم، من ذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الذِينَ ظَلَمُوا**﴾ [الأنبياء/03]، وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿**ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ**﴾ [المائدة/71].

عني الدارسون المحدثون بلغة "أكلوني البراغيث"، وأوردوها في مصنفاتهم. والملاحظ عليهم اختلافهم كثيرًا في أمرها، من منطلق تأثرهم بالدرس اللساني الحديث الذي يحث على دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها دون الحكم عليها.

فذهب عدد منهم إلى التسليم بها لغة لقبائل عربية بعينها: طيئ، وأزد شنوءة، وبلحارث بن كعب، ومن هؤلاء: عبده الراجحي[4]، عبد الغفار حامد هلال.[5]

---

[1] ابن هشام: تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، تح: عباس مصطفى صالحي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص: 474.

[2] ابن قيس الرقيات: ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تح: عزيزة فوال بابتي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص: 247.

[3] ابن هشام: تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، ص: 474.

[4] ينظر: عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1996، ص: 188.

[5] ينظر: عبد الغفار حامد هلال: اللهجات العربية نشأة وتطورا، ص: 335.

وذهب بعض المحدثين إلى أبعد من هذا؛ إذ حاولوا ربط هاته اللغة بأصولها القديمة، ورجحوا أن طريقة التركيب على لغة "أكلوني البراغيث" أسبق من قاعدة عدم التطابق المشهورة.[1]

قلبت لغة "أكلوني البراغيث" الموازين في العصر الحديث؛ إذ أصبحت أكثر اطّرادًا من النموذج التركيبي للغة المشهورة على ألسنة العرب في أقطار عربية كثيرة في مصر والشام والعراق،[2] ونجد في السعودية، وبلاد المغرب، وأخص الجزائر؛ فجملنا في اللهجات الجزائرية عمومًا تقوم على النمط التركيبي للغة "أكلوني البراغيث". فيقال في اللهجة: «جَاوْ لُولَادْ في: جاء الأولاد».[3] و"يَهْبْطُوا الْفُرْسَانْ هَادُوكْ يَتْعَشَّاوْ" التي تقابلها في الفصحى: "ينزل أولئك الفرسان للعشاء".[4]

تبيّن من خلال مقارنة اللغات الساميّة: العبرية، الآرامية، والحبشية.."، أنّ الأصل في تلك اللغات، أنّ يلحق الفعلَ علامةُ التثنية والجمع للفاعل المثنى والمجموع، كما تلحقه علامة التأنيث، عندما يكون الفاعل مؤنثًا سواءً بسواءٍ،[5] وهو في الحقيقة ما فعلته اللغة في مراحلها الأولى، فيكون بذلك أسلوب "أكلوني البراغيث" هو الأسلوب الأول.[6]

وقد أكّد "فوزي الشايب" على أنّ هذا الاستعمال اللغوي يمثل في الحقيقة المرحلة الأولى التي كانت عليها اللغة، ثم تخطتها وتجاوزتها في مراحل حياتها التالية، وقد ظلت بعض بقاياها حية عند عدد من القبائل العربية؛ وذلك لأنّ الأساليب اللغوية في تطور مستمر.[7] يقول: «إنّ لهجة "أكلوني البراغيث" هي الأصل، والأسلوب الحالي هو الفرع الذي تطوّر وتفرع منه، ولكن هذا التطور لم يكن

---

[1] ينظر: حسن عون: اللغة والنحو، ص: 61.

[2] ينظر: فوزي الشايب: الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، م3، 1991، ص: 139.

[3] مختار نويوات ومحمد خان: العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان –بسكرة–، ص: 82.

[4] ينظر: بلقاسم بلعرج: الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، ص: 250.

[5] ينظر: رمضان بعد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص: 69.

[6] ينظر: فوزي الشايب: الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص: 137.

[7] ينظر: مر. ن، ص: 141.

يسير بالسرعة نفسها عند جميع القبائل العربية، فلا ننتظر من القبائل النائية المعزولة القابعة في الصحراء أن يكون تطور لهجاتها مماثلًا في سرعته للقبائل الأخرى، ومع ذلك فإنّ لهجاتها تتطور ولكن التطور هنا سيكون طبيعيًّا بطيئًا بالقياس إلى لهجات القبائل الأخرى التي توافرت لها عناصر الاحتكاك اللغوي بغيرها».[1]

ويرى "حسن عون" أنّه: «من العجيب أن نجد النحاة يقررون عكس هذا المبدأ، فيسمون حالة إفراد الفعل مع تثنية الفاعل أو جمعه قياسًا؛ ويكون العكس إذن، وهو تثنية الفعل مع الفاعل المثنى، وإفراده مع الفاعل المفرد، وجمعه مع الفاعل الجمع، خروجا عن القياس».[2]

إنّه لمن المنطقي أن يكون هذا الأسلوب هو الأصل الأول في العربية يوم كانت غير مستقرة ولا ناضجة، وبعد تطورها ونضوجها واستقرار أساليبها وتراكيبها، حاولت التخلص من هذا الأسلوب وتطويره طلبًا للخفة، فألزمت الفعل المتقدم على فاعله حالة الإفراد مع الفاعل المثنى والمجموع، ولكن التخلص من هذه الطريقة في الأداء لم يكن تامًا؛ إذ بقيت في العربية لغة قليلة لبعض القبائل خالفت هذا الأصل الذي استقرت عليه الفصحى، التي نزل بها القرآن. وجاءت منبهة على الأصل الأول الذي كان مستعملًا في طور من أطوار اللغة في زمن ما.[3] وهذه البقايا هي ما نسميه هنا بالركام اللغوي.[4]

يرى "رمضان عبد التواب" أنّ «ما شاع على ألسنة الناس من قولهم في لهجات الخطاب: "ظلموني الناس" و"لاموني العواذل" و"زارونا الجيران"؛ أي إلحاق الفعل علامة الجمع، وهو متقدم على الفاعل المجموع»،[5] ما هو إلّا «امتداد للأصل السامي واللهجات العربية القديمة، بلا شك».[6] وبالتالي فإنّ

---

[1] فوزي الشايب: الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، ص: 141.142.

[2] اللغة والنحو، ص: 61.

[3] ينظر: محمد أحمد الدالي: لغة أكلوني البراغيث، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ع3، 1993، ص: 399.400.401.

[4] ينظر: رمضان بعد التواب: بحوث ومقالات في اللغة، ص: 70.

[5] مر. ن، ص: 270

[6] مر. ن، ص: 272.

ما نسمعه اليوم في اللهجات الدارجة الجزائرية من كلام جاء على "لغة أكلوني البراغيث" يعدّ تجليًا لمظهر من مظاهر الركام اللغوي في العربية.

وبعد إتمام هذا الفصل نقف عند أهم النتائج التي توصلنا إليها وهي:

1. تغلبت اللغة العربية على اللغة الأصلية –الأمازيغية– في بلاد المغرب وحلّت محلها.
2. اللهجات الجزائرية تسير في أغلب أحوالها وفق قواعد الفصحى ولهجاتها.
3. الكثير من الظواهر اللغوية الموجودة في اللهجة الجزائرية هي تجليات لظاهرة الركام التي احتفظت بها العربية الفصحى.

خـــاتمـــة

انطلق البحث من محاولة رصد مظاهر الركام في الفصحى على تعدد مستوياتها اللغوية، ورصد تجلياتها في اللهجات الجزائرية، وخلص إلى نتائج أهمها:

1. ينطلق المحدثون في تفسيرهم للركام اللغوي من تسليمهم بأنّ اللغة كائن حي، يمرّ بمراحل من التطوّر، قد تجعل ما كان شائعًا في حقبة زمنية شاذًا في أخرى، أو العكس.
2. يفسر الركام اللغوي ضربًا من أضرب الشاذ في العربية، وهو ما تبقى من أمثلة من مراحل تطوّرية سابقة في أطوار نمو العربية الفصحى.
3. أكثر أمثلة الركام اللغوي تجلت في المستوى الصوتي، ثم الصرفي ثم التركيبي بدرجة أقل، ممّا يحيل على أنّ تطور العربية كان بصفة أسرع في أصغر وحداتها، وأمّا التركيب فيكون التطور فيه بصورة أبطأ.
4. يرجح المحدثون أن تكون الظواهر الصوتية التي ميزت اللهجات العربية القديمة بقايا لغوية لمراحل تطوّرية سابقة من عمر اللغة العربية يمتد إلى أصلها السامي بدليل استمرارها في بعض أخواتها الساميّات.
5. تزخر اللهجات الجزائرية بظواهر صوتية عديدة تعدّ شاذة قياسًا بما هو مطّرد في الفصحى، إلّا أنّ لها أصل ترجع إليه في بعض اللهجات العربية القديمة، بما يوطد صلتها بالعربية ولهجاتها من جهة، وبما قد يفتح أبوابًا للبحث عن أسباب غلبة مظاهر على أخرى، ولعل أرجح العوامل ما له صلة بهجرة القبائل العربية إلى المغرب العربي زمن الفتوحات، واستقرارها في مناطق جغرافية دون أخرى.
6. ليس رد اللغويين القدامى حروف العلة إلى أصل واوي أو يائي محض افتراض وتكلف عقلي، بل هو حقيقة لغوية أثبتتها الدراسات التأصيلية للعربية في ضوء اللغات السامية.
7. تشكل لغة "أكلوني البراغيث" نموذجًا مطّردًا في اللهجات الجزائرية، وكذا سائر اللهجات العربية الحديثة، ممّا يجعلها في مرتبة الشاذ قديمًا، المطّرد حديثًا.

8. يحتاج البحث في ظاهرة الركام اللغوي في الفصحى، وكذا تجلياتها في اللهجات الجزائرية بخاصة والعربية عمومًا إلى مزيد من الاستقصاء والتفصيل، ذلك أن مظاهره أكبر من أن تحصر في صفحات هذا البحث، ممّا يفتح الآفاق لاستكمال العمل فيه.

قائمة المصادر والمراجع

المصحف الشريف، **برواية ورش عن نافع**، الديار المقدسة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط2، 2008.

أولًا: الكتب التراثية.

- ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، ت: 328هـ).

1. المذكر والمؤنث، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1981.

- البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، ت: 463هـ).

2. خزانة الأدب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1988.

- الثمانيني (أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني، ت: 442هـ).

3. شرح التصريف، تح: إبراهيم بن سليمان البعمين، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1999.

- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني، ت: 392هـ).

4. الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1952.

5. المنصف، تح: إبراهيم مصطفى، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، مصر، ط1، 1954.

- ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني، ت: 370هـ).

6. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، (د. تح)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1985.

7. إعراب القراءات السبع وعللها، تح: عبد الرحمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1992.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، ت: 170هـ).

8. الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي، ت: 340هـ).

9. مجالس العلماء، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1999.

- ابن السكيت (يعقوب بن إسحاق بن السكيت، ت: 858هـ).

10. الإبدال، تح: حسين محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1978.

- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: 180هـ).

11. الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، (د.س).

- السيوطي (جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، ت: 911هـ).

12. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، (د. س).

13. همع الهوامع، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

- أبو الطيب اللغوي (أبو الطيب عبد الواحد بن علي العسكري الحلبي اللغوي، ت:351هـ).

14. الإبدال، تح: عزّ الدين التنوخي، المجمع العلمي العربي، دمشق، سوريا، (د. ط)، 1961.

- ابن عصفور (علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد النحوي، ت: 669هـ).

15. الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

- أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد، ت: 377هـ).

16. المسائل العسكريات في النحو العربي، تح: علي جابر المنصوري، جامعة بغداد، بغداد، العراق، ط2، 1982.

17. التكملة، تح: كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط2، 1999

- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، ت: 395هـ).

18. الصاحبي في فقه اللغة، تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س).

- الفراء (يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، ت: 207هـ).

19. معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1955.

- ابن قيس الرقيات (عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة، ت: 85هـ).

20. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تح: عزيزة فوال بابتي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1995.

- ابن مالك (محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، ت: 672هـ).

21. شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، الجيزة، مصر، ط1، 1990.

- المؤدب (أبو القاسم بن محمد بن سعيد المؤدِّب، ت: 338هـ).

22. دقائق التصريف، تح: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، 2004.

- النّحاس (أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، ت: 338هـ).

23. القرآن، تع: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (د. س).

- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك ابن هشام، ت: 218هـ).

24. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د. ط)، (د. س).

25. تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد، تح: عباس مصطفى صالحي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

- ابن يعيش (أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا، ت: 643هـ).

26. شرح المفصل، تق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

ثانيًا: الكتب الحديثة.

- آمنة صالح الزعبي:

27. التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، (د. ط)، 2005.

- إبراهيم أنيس.

28. من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط3، 1966.

29. في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1992.

30. الأصوات اللغوية، نهضة مصر، المنصورة، مصر، (د. ط)، (د. س).

- إبراهيم السامرائي.

31. مقدمة في تاريخ العربية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، (د. ط)، 1979.

32. التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس، القاهرة، مصر، ط2، 1981.

33. الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد، العراق، (د. ط)، 1966.

- إحسان عباس:

34. تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، (د. س).

- أحمد أبّا الصافي جعفري:

35. اللهجة التواتية الجزائرية، منشورات الحضارة، الجزائر، الجزائر، ط1، 2014.

- أحمد حسن الزيات:

36. تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س).

- أحمد عالم الدين الجندي:

37. اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1983.

- أحمد مختار عمر:

38. تاريخ اللغة العربية في مصر والمغرب الأدنى، عالم الكتب، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س).

- إسماعيل عمايرة.

39. ظاهرة التأنيث بين العربية واللغات السامية "دراسة لغوية تأصيلية"، دار الحنين، عمّان، الأردن، ط2، 1993.

- بلقاسم بلعرج:

40. الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، مديرية النشر لجامعة قالمة، جامعة 8ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2008.

- التهامي الراجي الهاشمي.

41. بعض مظاهر التطور اللغوي، دار النشر المغربية، الرباط، المغرب، (د. ط)، 1978.

- حسن ظاظا:

42. الساميون ولغتهم "تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية عند العرب"، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1990.

- حسن عون.

43. اللغة والنحو "دراسات تاريخية وتحليلية مقارنة"، (د. دن)، الإسكندرية، مصر، ط1، 1952.

- رمضان عبد التواب.

44. بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1982.

45. لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2000.

46. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1997.

47. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1997.

- سمير شريف إستيتة.

48. اللسانيات "المجال والوظيفة والمنهج"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2008.

- صبحي الصالح:

49. دراسات في فقه اللغة، دار العلم، بيروت، لبنان، ط2، 2009.

- الطاهر أحمد الزاوي:

50. ولاة طرابلس" من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي"، دار الفتح، بيروت، لبنان، ط1، 1970.

- عبد الرحمن الحاج صالح.

51. السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، الجزائر، (د. ط)، 2012.

- عبد الصبور شاهين.

52. في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1993.

- عبد الغفار حامد هلال.

53. اللهجات العربية نشأة وتطورا، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 1993.

- عبد الله العلايلي.

54. مقدمة لدراسة لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، الطبعة العصرية، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س).

- عبده الراجحي.

55. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1996.

- علي الجندي.

56. تاريخ الأدب الجاهلي، دار التراث، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1991.

- علي أبو المكارم.

57. أصول التفكير النحوي، دار غريب، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

- علي عبد الواحد وافي.

58. فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط3، 2004.

- فاروق صنع الله العمري.

59. مبادئ علم الطبقات، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2001.

- فوزي الشايب.

60. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2004.

- كاصد ياسر الزيدي:

61. فقه اللغة العربية، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 2004

- كمال بشر:

62. علم الأصوات، دار الغريب، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2000.

- مبارك بن محمد الميلي:

63. تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الجزائر، (د. ط)، (د. س).

- محمد إبراهيم الفيومي:

64. تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط4، 1994.

- محمد أحمد خاطر.

65. في اللهجات العربية "مقدمة للدراسة"، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، (د. ط)، 1979.

- محمد بيومى مهران:

66. المغرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر، (د. ط)، 1990.

- محمد الصغير غانم.

67. مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د. ط)، 2003.

- محمود فهمي حجازي:

68. علم اللغة العربية "مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية"، وكالة المطبوعات، الكويت، (د. ط)، 1973.

- مختار نويوات ومحمد خان:

69. العامية الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى مشروع دراسة لسانية للدارجة في منطقة الزيبان –بسكرة–، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط1، 2005.

- مصطفى صادق الرافعي.

70. تاريخ آداب العرب، مر: عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، (د. ط)، (د. س).

- مناع القطان:

71. نزول القرآن على سبعة أحرف، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1991.

- نايف محمود معروف.

72. خصائص العربية وطرائق تدريسها، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

ثالثًا: المعجمات.

المعاجم العامة:

- أحمد مختار عمر وآخرون.

73. معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

- أبو بكر الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، ت: 313هـ).

74. مختار الصحاح، (د. تح)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1986.

- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد بن عتاهية الأزدي، ت: 321هـ).

75. جمهرة اللغة، (د. تح)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، ط1، (د. س).

- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، ت: 395هـ).

76. مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

- الفيروز آبادي (أبو طاهر مجد الدين محمد يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، ت: 817هـ).

77. القاموس المحيط، مر: أنيس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2008.

- ابن منظور (جمال الدين محمد مكرم ابن منظور الأنصاري، ت: 711هـ).

78. لسان العرب، (د. تح)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

المعاجم المتخصصة:

- جبور عبد النور.

79. المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

- محمد سمير نجيب اللبدي.

80. معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

- محمد علي الخولي.

81. معجم علم الأصوات، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، السعودية، ط1، 1982.

رابعًا: الكتب المترجمة.

- إسرائيل ولفنسون:

82. تاريخ اللغات السامية، تر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، القاهرة، مصر، ط1، 1929.

- أولمان ستيفن:

83. دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. س).

- جوزيف فندريس:

84. اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، (د. ط)، 2014.

- كارل بروكلمان:

85. فقه اللغات السامية، تر: رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، الرياض، السعودية، (د. ط)، (د. س).

خامسًا: المقالات.

- عمر لحسن.

86. التهجين اللغوي "أسبابه ومظاهره"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، الجزائر، (د. ع)، (د. س).

- فتحي أنور عبد المجيد الدابولي.

87. بين الفصحى والعامية، مجلة كلية اللغة العربية، الزقازيق، مصر، ع10، 1990.

- فوزي الشايب.

88. الماضي المجرد ومسألة البناء على الفتح، مجلة جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، م3، 1991.

- محمد أحمد الدالي.

89. لغة أكلوني البراغيث، مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ع3، 1993.

- محمد عبد اللطيف حماسة.

90. ظاهرة الإعلال والإبدال في العربية بين القدماء والمحدثين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ج46، ع 48، 1981.

91. من وجوه استعمال الهمزة في الشعر وموقف النحويين منه، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، ج 69، 1991.

- يحي عبابنة.

92. تطور صوت الجيم في اللغة العربية وأثره في تشكيل بنية الكلمة، جامعة مؤتة، مؤتة، الأردن، م 14، ع 5، 1999.

سادسًا: الرسائل.

- منصور عبد الكريم الكفاوين.

93. ظاهرة الركام اللغوي بين القدماء والمحدثين، (رسالة دكتوراه)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 2007.

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
المائدة	﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَّاتِيَ بِالفَتْحِ﴾	52	22
	﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾	71	74
الإسراء	﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾	45	12
طه	﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾	63	36
الأنبياء	﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الذِينَ ظَلَمُوا﴾	3	74
النور	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُوَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾	43	2
الشعراء	﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾	14	41
القصص	﴿حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾	23	60
الشورى	﴿وَهُوَ الذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾	25	41
الدخان	﴿وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	39	41
الواقعة	﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾	2	12
المجادلة	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾	19	33
القلم	﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾	6	12
الضحى	﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾	3	22
	﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾	9	62

فهرس الأشعار

الأبيات الشعرية:

القافية	البيت	البحر	الصفحة
الباء	إنَّ الشَّبَابَ الّذِي مَجْدُ عَوَاقِبِهِ *** فِيهِ نَلَذُّ، وَلَا لذَّاتَ لِلشِيب.	البسيط	39
الراء	هُمَا خُطَّتَا إمَّا إسَارٍ وَمنَّةٍ *** وإمَّا دَم وَالقَتْل بِالحُرِ أَجدَر.	الطويل	39
الراء	رَأَيْنَ الغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بِعَارِضِي *** فَأَعْرَضْنَ عَنِي بِالخُدُودِ النَّوَاضِرِ.	الطويل	74
اللام	أَرَى مَرَّ السِّنِينِ أَخَذْنَ مِنِي ***كَمَا أَخَذَ السِّرَار مِنَ الهلاَلِ.	الوافر	37
اللام	وَلَا أَكُولُ لِكدرِ الكَوْمِ كَدْ نَضَجْت *** وَلَا أكُولُ لِبابِ الدَّارِ مكْفُولُ.	البسيط	62
الميم	فأَطرق إطرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَو يَرَى *** مَسَاغًا لِنابَاه الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا.	الطويل	36
الميم	أَعَن تَرَسَّمتَ مِنْ خَرقاءَ مَنزِلةً *** ماءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَينيكِ مَسجومُ.	البسيط	55
الميم	يَلمُونَنِي فِي اشتِرَاءِ النَّخِي *** لِ أَهلِي فَكُلهُم أَلُومُ.	المتقارب	73
الميم	حَتَّى تَذكَّرَ بيَضَاتٍ وَهَيَّجَهُ ***يَومُ الرَّذَاذِ عَلَيْهِ الدَّجْنُ مَغْيُومُ.	البسيط	69
الهاء	فَإِنْ نَفْنَ لَا يُبْقُوا أُولَئِكَ بَعْدَنَا *** لِذِي حُرْمَةٍ فِي المسْلِمِينَ حَرِيمُ	الطويل	74
الهاء	إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا *** قَد بَلَغَا فِي المجْدِ غَايتَاهَا.	الرجز	35
الهاء	طَارُوا عَلَاهُنَّ فَطِر عَلَاهَا *** وَاشْدُد بِمَثْنَى حَقَبٍ حَقوَاهَا.	الرجز	66
الهاء	أُلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ القَفَا *** أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيهِ.	السريع	74
الياء	خَلِيلَيَّ مَا إِنْ أَنْتُمَا الصَّادِقَا هَوَى *** إِذَا خِفْتُمَا فِيهِ عَذُولًا وَوَاشِيَا.	الطويل	38

أنصاف الأبيات:

القافية	شطر البيت	البحر	الصفحة
التاء	وَكَأنَهَا تُفَاحَةٌ مَطْيُوبَةٌ	الكامل	69

فهرس الموضوعات

العنـــــــــــــــوان	الصفحة
شكر وتقدير	/
إهداء	/
مقدمة	أ
الفصل الأول: ظاهرة الركام في الفصحى بين مرتبتي الاطّراد والشذوذ	
أولًا: اصطلاحات ومفاهيم	**2**
1. مفهوم الركام اللغوي	2
1.1. لغة	2
2.1. اصطلاحا	3
3.1. المقابلات الأجنبية والعربية لمصطلح الركام اللغوي	4
2. مفهوم الشذوذ والاطّراد	8
1.2. مفهوم الشذوذ	8
2.2. مفهوم الاطّراد	9
3. مفهوم الفصحى واللهجات	11
1.3. مفهوم الفصحى	11
2.3. خصائص العربية الفصحى	12
3.3. مفهوم اللهجة	14
4.3. المحطات الكبرى في تاريخ اللغة العربية	16
5.3. العلاقة بين اللغة واللهجة.	21
ثانيًا: الركام اللغوي تفسيرًا "للشاد"	**22**
1. مراتب الكلام في الشذوذ	22
2. تفسير ظاهرة الشذوذ من وجهة نظر اللغويين المحدثين	23
3. أسباب الركام اللغوي	24
ثالثًا: مظاهر الركام اللغوي في العربية الفصحى	**28**

1. مظاهر الركام في المستوى الصوتي	28
1.1. تطور صوت الضاد	28
2.1. تطور صوت القاف	29
3.1. ظاهرة التلتلة	30
4.1. ظاهرة العنعنة	31
2. مظاهر الركام اللغوي في المستوى الصرفي	32
1.2. تصحيح حرف العلة مع وجود موجب للإعلال	33
3. مظاهر الركام اللغوي في المستوى التركيبي	35
1.3. إلزام المثنى الألف والنون في كل الحالات الإعرابية	35
2.3. إعراب جمع المذكر السالم بالحركات	37
3.3.إعراب جمع المؤنث السالم بالفتحة	39
4.3. نيابة حروف الجر بعضها عن بعض	40
الفصل التطبيقي: تجليات الركام اللغوي في اللهجات الجزائرية	
تمهيد	44
أولًا: تاريخ اللغة العربية في الجزائر	**45**
1. رحلة العربية إلى المغرب العربي، والجزائر	45
1.1. عوامل الصراع اللغوي	46
2.1. مراحل الصراع اللغوي بين العربية والأمازيغية	47
2. الانتقال من الفصحى إلى اللهجات العامية في الجزائر	49
ثانيًا: مظاهر الركام اللغوي في المستوى الصوتي للهجات الجزائرية	**52**
1. الصور الصوتية للهمزة في اللهجات الجزائرية وعلاقتها بالفصحى	52
2. نطق التاء طاءً	55
3. تطور صوت الجيم	57
4. نطق الذال دالًا	58
5. نطق الصاد زايًا	59

6. الصور الصوتية لصوت القاف في اللهجات الجزائرية وعلاقتها بالفصحى	60
7. ظاهرة التلتلة	64
8. البدء بساكن	65
9. الإبدال في حروف العلة	66
10. انكماش الأصوات المركبة	67
ثالثًا: مظاهر الركام اللغوي في المستوى الصرفي والتركيبي للهجات الجزائرية	**68**
1. تتميم اسم المفعول من الفعل الأجوف	68
2. صيغة "افْعَالّ"	70
3. إبدال أحد التضعيفين ياء في الفعل الثلاثي المضعف	71
4. لغة أكلوني البراغيث	72
خـــاتمـــة	**79**
قائمة المصادر والمراجع	82
فهرس الآيات	94
فهرس الأشعار	96
فهرس الموضوعات	99
ملخص	/

ملخص:

تسعى هذه الدراسة الموسومة بـ "ظاهرة الركام اللغوي في الفصحى، وتجلياتها في اللهجات الجزائرية" إلى تتبع مظاهر الركام اللغوي في الفصحى في المستويات اللغوية الثلاثة الصوتي والصرفي والتركيبي، مفسرةً إيّاه في إطار التطور اللغوي بالاصطلاح الحديث، والشاذ باصطلاح القدامى.

كما ترصد الدراسة أبرز صور هذا الركام المنتشرة في اللهجات الجزائرية الحديثة، ممّا هو سبيل لتأكيد صلتها الوثيقة بالفصحى.

الكلمات المفتاحية: الركام اللغوي– الشاذ– المطّرد– الفصحى – اللهجات الجزائرية.

Abstract:

This study, entitled “The Phenomenon of Linguistic Aggregates in the Classical and its Manifestations in Algerian Dialects”, seeks to trace the manifestations of linguistic aggregates in the Classical arabic in the three linguistic levels: phonetic, morphological, and syntactic, explaining it in the context of linguistic development in the modern terminology, and the anomalous in the terminology according in the old one.

The study also detects the most prominent forms of this aggregate that is widespread in modern Algerian dialects, which is a way to emphasise their close relationship with the Classical language .

Keywords: Linguistic Aggregates - anomalous - progressive - classical - Algerian dialects .